روايات عبير

إعترافات إمرأة

www.elromancia.com

مرمورية

Colette NOÊL

N° 601

روايات عبير

تذهب "مارتينا" إلى "نيويورك" لتحضر
اجتماع مجلس إدارة مؤسسة "توليفر" وما إن تقع
عينا رئيسها عليها حتى يقع في حبها ويعرض عليها أن تكون
نائبة له، لكنها ترفض العيش في "نيويورك".
ما سبب رفضها الانتقال إلى "نيويورك"؟
ما سر زواجها الأول؟
وما علاقة رفضها لعرض العمل بالملیونير "چون مانتينجز" الذي هو صديق
حميم لـ"كيڤن" رئيس المؤسسة؟
ما السر الذي تخفيه عن "كيڤن" بشأن هذه العلاقة؟
هل يقف هذا الأخير مكتوف اليدين أمام هذا المصير؟
هل يُقدّر لذلك الحب المشبوب أن يجمع شمل العاشقين ويحقق
لهما السعادة التي يهفوان إليها أم أنه يسومهما
العذاب ألوانا؟

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-77-2
9 789953 424774

الغلاف الأمامي

– كان صوت المرأة حزينا. عض "كيڤين" شفته السفلى وتذكر ما قالته له "مارتينا" بخصوص هذا الشان. بعد طلاقها اعترفت له المرأة أنها رفضت استعادة لقبها كفتاة شابة وتحديداً لقب أبيها.

كان لابد إذن أن يكون النزاع بينهما كبيرا.

الشخصيات الرئيسية

– "مارتينا هاربر": مهندسة استشارية.

- "كيڤين توليڤر": رئيس مؤسسة "توليڤر".

- "سيبيل": مربية الأطفال.

- "چيف" و"تومي": ابنا أخت "مارتينا".

- "چون مانينجز": صديق "كيڤين" ومفاجأة الرواية

الفصل الأول

– لكن ما الذي جعلني آتي إلى "نيويورك"؟

طرحت "مارتينا" على نفسها هذا السؤال ما يقرب من عشر مرات منذ بداية الصباح، بمجرد أن نزلت من الطائرة ألقت بنفسها داخل تاكسي لتصل في الساعة العاشرة حيث يوجد موقع مؤسسة "توليفر".

لم يكن لدى الشابة أيضا الوقت لتمر على فندقها لتغيّر ملابسها، ومن ثم جلست "مارتينا" إلى المائدة المدهشة لمجلس الإدارة وهي مرتدية ملابس السفر التي كانت عبارة عن بنطلون أزرق فاتح وبلوزة قطنية خضراء. لقد استقلت "مارتينا" رحلة الليل المتجهة من "دنفر". كانت جفونها ثقيلة، وجبهتها مضطرمة، والليلة التي قضتها بالطائرة بدا أثرها على جسمها النحيل.

قالت المرأة لنفسها وهي تحاول إخفاء تثاؤبها: "منذ ما يقرب من ثلاثة أرباع الساعة ونحن ننتظره".

كان يتواجد حولها قدر عشرة من الرجال يثرثرون أو يقرأون الجرائد وبدا أنهم معتادون على تأخر الرئيس "توليفر". لم يستطع بعض هؤلاء السادة منع أنفسهم من إلقاء نظرات الدهشة على "مارتينا" مما يدل على أن قليلا من النساء جلسن حول المائدة الفخرية للمجلس.

في الحادية عشرة إلا ربعاً انفتح الباب على مصراعيه وقد كان منقوشا عليه اسم مؤسسة "توليفر". دهشت "مارتينا" إلى حد ما عندما تأكدت من أنه يناهز الستين تقريبا. لقد تصورت أن على رأس هذه المؤسسة الصناعية الكبيرة رجلا مسنا ذا شعر أبيض ومحني الرأس.

كانت "مارتينا" مهندسة استشارية متخصصة في مشكلات

الإنشاءات الصناعية. منذ عدة سنوات وهي تعمل بصفة شبه منتظمة لدى مؤسسة "توليفر" التي استعانت بها لتختار موقع مصانعها الجديدة.

قضت المرأة الشابة حينذاك عدة أسابيع في دراسة الملف، ثم أعادت تقريرها إلى مراسل مؤسسة "توليفر" بـ"كولورادو". في أثناء عشرات الدراسات التي أجرتها "مارتينا" لا يسعها إلا أن تتأكد أنه نادرا ما يتم متابعتها في توصياتها. كان الرئيس "توليفر" يتبنى عموما حلولا وسطية تبتعد عن النتائج التي أوصت بها في دراستها دون أن ينكر كلية أعمال المرأة الشابة.

ولهذا السبب كانت "مارتينا" تتخيل دائما السيد "توليفر" رجلا عجوزا أشيب يرفض اتخاذ أية مخاطرة لأنه كان واثقا بقوة مؤسسته.

كان الرجل الصغير النشيط والرشيق الذي دخل لا يشبه مطلقا الصورة التي تخيلتها المرأة.

كحّ هذا الرجل ليجلي صوته ويسكت أعضاء المجلس الذين لم يعيروه أي اهتمام.

– سيدتي ويا أيها السادة كلفني السيد "توليفر" بتقديم اعتذاره لكم. لقد تأخر ولكنه سيحضر إلى هنا في غضون خمس عشرة دقيقة.

لم تستطع "مارتينا" كبت ابتسامتها لدى سماعها هذا الكلام: سوء الفهم كان مضحكا.

استمع أعضاء المجلس المجتمعون حول المائدة إلى هذا الرجل القصير الذي اقترب من "مارتينا" بمجرد أن انتهى من كلامه.

سألها بنبرة مترددة كما لو كان قد فوجئ بوجودها وسط كل رجال الأعمال:

– هل سيادتك الآنسة "هاربر"؟

– نعم، أنا "مارتينا هاربر".

– السيد "توليفر" كلفني بأن أشكرك على موافقتك المجيء إلى هنا بسرعة. هل استقبلوك جيداً في الفندق الذي حجزناه لك؟

تلعثمت "مارتينا":

– هذا يعني... يمكنك القول إن طائرتي تأخرت ولم يكن أمامي وقت كاف لأغير ملابسي..

استطرد الرجل النحيل:

– إنني متأسف حقا يا آنسة "هاربر". أُدعى "هوبز" ويمكنني أن أفيدك في أثناء إقامتك في "نيويورك" ومن ثم لا تترددي في الاتصال بي.

اتجه الرجل النحيل حينذاك نحو الباب تحت نظرات الشفقة التي تظهرها "مارتينا" التي لا تزال تبتسم في سريرتها من هذا اللبس.

سأل حينذاك صوت غليظ:

– "هاربر"... أنت إذن "م. س. هاربر" من "دنفر" بـ"كولورادو"؟

استدارت "مارتينا" ولمحت في وسط الغرفة رجلا فخما مرتديا بزة رمادية يتفرس فيها بشكل سيئ.

همست "مارتينا" وهي مضطربة من فظاظة نبرة محدثها.

– نعم، أنا "مارتينا سوزن هاربر".

استطرد الرجل بنبرة أكثر فظاظة:

– أيمكن أن نعرف ما الذي أتى بك إلى هنا؟

– السيد "توليفر" طلب مني الحضور إلى هذا الاجتماع. لكن أيمكنني أن أسألك يا سيد...؟

– سيد "تالبت"، "شارلز تالبت".

كانت "مارتينا" تعرف هذا الاسم: "شارلز تالبت" هو نائب رئيس المؤسسة. إنه هو المسؤول عن نقل التقارير التي تكتبها في مكتب "دنفر" إلى "توليفر".

– أيمكننا أن نعرف يا آنسة "هاربر" ما الذي أتى بك إلى "نيويورك" هذا الصباح؟ أستحاولين أيضا أن نصدق أن "نيفادا" مكان مثالي لإقامة مصنعين بها؟

ساد الاجتماع ضحك عام مما أثار حفيظة "مارتينا" التي – مع ذلك – لم ترد. نهض "تالبت" وعنفها قائلا:

– ثم يجب أن أخبرك يا آنستي العزيزة أن طريقة لبسك ربما تناسب أهل الغرب لكن يبدو أنك معجبة بها، ولكن هنا في "نيويورك" نراها مثيرة للسخرية...

عند سماع هذه الكلمات بدأ جميع من حول المنضدة الكبيرة الضحك.

قررت "مارتينا" الخائفة أن تتصرف. نهضت واقفة واقتربت من الضخم "تالبت" الذي يتفرسها بشكل مهين. وضعت المرأة الشابة قبضتها على المائدة وحملقت إلى الرجل الضخم الذي توقف عن الضحك وقالت:

– لنترك ملابسي جانبا يا عزيزي "تالبت"! إنها ملابس امرأة قضت الليل بالطائرة لتستمتع بمقابلة سيادتك... ومن الأحرى أن نتحدث عما أتى بي إلى هنا. إنشاء مصنع جديد. أيكفي أن تجد مكانا بـ"كاليفورنيا" كما قلت؟ إن ما لا تفهمه يا عزيزي السيد "تالبت" هو أنني مكلفة بإيجاد الحل المثالي الذي يناسب المؤسسة التي تعمل لديها.

قارنت إذن بين أسعار الأراضي، وجودة الأيدي العاملة في المناطق

www.elromancia.com

المختلفة، وسهولة المواصلات التي تخدم الموقع المزمع إقامة المصنع عليه:

فكرت في كل هذا باختصار لكي أسلّم دراسة متكاملة! لك الحرية بعد ذلك في تبجيل "كاليفورنيا" دوما مثل الباحث الذي يصل بعد الانقضاض على الذهب!

شحب وجه "تالبت" وكان يتأهب للرد عندما دخل رجل في الثلاثين من عمره صالة المجلس. كان أسمر وبشرته سمراء قليلا قال بصوت جليل حينما نهض كل أعضاء المجلس لتحيته:

– صباح الخير يا أيها السادة.

ثم أضاف حينما رأى "مارتينا" التي كان وجهها محمرا من الغضب:

– أيها السادة و... يا آنسة... يسرني رؤية امرأة في صالة الاجتماع، هذه الجامدة! لم أتشرف بعد بمعرفتك.

قالت المرأة بهدوء:

– أنا "مارتينا هاربر" وأظن أنك "كيڤين توليڤر"؟

كان محدثها ينفجر في الضحك الصريح والمشرق عند كل إجابة منها، بينما تردد الرجال المجتمعون حول المنضدة بخصوص الموقف الذي يجب أن يختاروه. وجدت "مارتينا" صعوبة في إخفاء ضيقها: بعد الحوار المبغض لـ"تالبت" الكريه، لم يعد يمكنها تحمل مضايقات أحد أعضاء هذا المجلس الذي تأسف بمرارة على الحضور إليه.

استطرد "كيڤين توليڤر":

– سامحيني يا آنسة، لكنني لم أتوقع مطلقا أن أجد في مكتبنا الاستشاري بـ"دنڤر" شخصية ممتعة مثلك. ولكي أعترف لك بالحقيقة ظننت أنني سأقابل رجلا في الأربعين من عمره مرتديا نظارة

وكريه المنظر!

لدى سماعها هذا الكلام وجدت "مارتينا" صعوبة في الالتزام بجديتها. ولقول الحق شعرت المرأة بالارتياح لدى تأكدها أن ضحك الرئيس الوسيم لمؤسسة "توليڤر" لا يرجع إلى ملبسها المجنون الذي لاقى نقداً لها من "تالبت".

أضاف "كيڤين توليڤر" بصوت حار:

– سنعود إلى هذا الحوار بعد المجلس. لقد تأخرنا كثيرا! أشكرك على أية حال للاستجابة السريعة لدعوتي. آمل ألا يصيب وجودك في هذا المجلس أي اضطراب في عملك!

أجابت "مارتينا":

– لا، مطلقا.

واصل حديثه بعدما وجه إلى المرأة نظرة لطيفة:

– إلى اللقاء إذن.

بعد عدة ثوان فتح "كيڤين توليڤر" جلسة مجلس الإدارة وتطرق إلى أول بند في جدول الأعمال.

زاد التعب على "مارتينا" التي وجدت صعوبة في التركيز على الحوار المتبادل حول المنضدة. وفجأة أرجفها ذكر اسمها. كان "كيڤين توليڤر" من يتكلم:

– أشكر بصفة خاصة الآنسة "هاربر" على الدراسات الرائعة التي قامت بها. إنني ممتن لها أيضا على موافقتها لحضور اجتماع مجلسنا اليوم.

قالت "مارتينا" في قرارة نفسها حينما تركز اهتمامها على نبرة "كيڤين توليڤر": "لم آت إذن هنا هذا الصباح ليتم تهنئتي أمام أعضاء مجلس الإدارة الذين يتجنبون دائما متابعة التوصيات التي

www.elromancia.com

أصيغها في تقاريري".

وفجأة قال "كيڤين توليڤر" ليقطع حبل أفكارها:

– صحيح أننا قبل ذلك لم نتبع دائما نتائج دراسات الآنسة "هاربر"... لكنني سأسعى بنفسي من الآن فصاعداً على ألا يتكرر هذا الخطأ مرة أخرى!

حملق "كيڤين توليڤر" طويلا إلى وجه "تالبت" الذي خفض عينيه بضيق.

إن كلام الرئيس "كيڤين توليڤر" يمثل بلا شك تهديدا مباشراً للرجل الضخم.

واصل الاجتماع سيره. وعندما رفع "كيڤين توليڤر" الجلسة سألت "مارتينا" نفسها مرة أخرى عن أنها لم تقطع كل هذه الكيلومترات لتحضر اجتماع مجلس إدارة تافه. اقترب الرئيس منها في هذه اللحظة وقال لها:

– أريد محادثتك يا آنسة "هاربر". لدي – للأسف – موعد لا يمكنني تأجيله. أيمكنك انتظاري بمكتبي؟

ترددت المرأة في الإجابة. لقد كانت متعبة.

سألته بخجل:

– أيمكنك أن تخبرني يا سيد "توليڤر" عن السبب الذي جعلتني آتي من أجله هذا الصباح؟

– سنتحدث عن ذلك في حينه. سكرتيرتي وصلت وستجلسك في مكتبي. سآتي بسرعة قدر المستطاع.

الفصل الثاني

فوجئ "كيڤين" لدى دخوله مكتبه بالمرأة الشابة نائمة على الأريكة الموجودة في جانب من الغرفة. دون أن يثير ضجة جلس إلى جانبها وتأملها طويلا. كانت "مارتينا" جميلة، وملامحها الهادئة لم تظهر أي أثر للتعب. كانت مثل الجميلة في حواديت الساحرات النائمة في سحر والتي يستطيع الأمير الساحر فقط إيقاظها. بعد عدة دقائق أحس "كيڤين" باضطراب غريب يجتاحه: إن رؤية هذه المرأة الرائعة والمستغرقة في النوم أيقظت به إحساسا غريبا. اقترب من وجه المرأة ليشعر بأنفاسها المنتظمة على خده عندما فتحت "مارتينا" عينيها.

لم تلحظ أولا إلا العينين الزرقاوين، اللتين بدتا تعانقانها من فرط النظر إليها بإمعان. رمشت جفون المرأة لحظة كما لو كان يلزمها بضع لحظات لاستعادة نفسها وتتذكر مكان وجودها.

تلعثمت قائلة:

– عفوا، لم أرد ولكن... نمت رغما عني!

رد عليها "كيڤين":

– لا تعتذري. حكى لي السيد "هوبز" كيف لحقت بطائرة الليل لتكوني بـ"نيويورك" هذا الصباح...

ثم أضاف قائلا:

– لابد أنك مثلي لا تنامين في الطائرة!

اعتدلت "مارتينا" على وسادة الأريكة وفركت عينيها وقالت:

– لا، إنني أسافر كثيرا منذ سنوات لأسباب مهنية، ولم أستطع أبداً أن أغمض عيني بالطائرة... إنني لا أشعر بالخوف حقيقة، لكنني أشعر دائما بالارتباك لأنه إذا نمت فربما تقع حادثة، هذا غباء!

www.elromancia.com

– روى لي السيد "هوبز" عن مشادتك مع "تالبت". إنني أعتذر حقيقة لما حدث. منذ عدة شهور وانا أشك في "تالبت" بأنه لا ينقل كل المعلومات الضرورية لصالح المؤسسة: عندما اكتشفت الدراسات الرائعة التي أجريتها لنا والتي لم تُتابع نتائجها أردت طرد "تالبت". لكن "هوبز" الوفي منعني من ذلك. تعرفين أن "هوبز" كان يعمل تحت رئاسة والدي منذ أن كانت الشركة مجرد شركة كهرباء بسيطة. إنه رجل حكيم جداً وانا شخصيا أستعين به كثيرا. عندما حدثته عن تصرفات "تالبت" وقراري بطرده على الفور ابتسم ابتسامة متأملة.

استعادت "مارتينا" في ذاكرتها الرجل النحيل الذي حدثها بطريقة مؤثرة جدا عندما شعرت أنها وحيدة على منضدة مجلس الإدارة.

استطرد "كيڤين":

– وضع يده على يدي وقال: "أعتقد يا سيد "توليڤر" أنك سترتكب خطأ بطرد نائب رئيس المؤسسة. ستتأثر سمعة المؤسسة لذلك وهذا سيسبب فوضى بداخلها. أعتقد أنه من الحكمة أن تخبره أن خيانته اكتشفت، وتسمح له بتقديم استقالته دون إحداث أي فضيحة". كان "هوبز" محقا دائما. تفهمين الآن ما هو الموعد المهم الذي أجبرني على أن أجعلك تنتظرين...

– أتقصد أنك طلبت من "تالبت"...؟

– أن يستقيل بسرعة من كل وظائفه في مؤسسة "توليڤر"! ووافق دون أن يطلب حسابه. لديّ أيضا سبب آخر لذلك وخصوصا هذا الصباح.

سألت "مارتينا" – التي لم تفهم – "كيڤين توليڤر" بعينيها فقط:

– طلبت منه ذلك لأنه بدا فظا معك وتأخر ما يقرب من نصف ساعة عن موعدي معه.

اخفضت المرأة عينيها ولم ترد بأي شيء. ساد صمت طويل في المكتب العصري الكبير والفارغ.

– آنسة "هاربر" إنني لم أحضرك كل هذه الكيلومترات لأحدثك عن تسوية الحسابات الداخلية لمؤسستنا. لقد أعجبت بأعمالك، وأتمنى أن يمكنك التعاون بشكل موثق مع شركتنا في المستقبل، باختصار أتمنى اختيار مهندس استشاري لاختيار مواقعنا الصناعية وهانا أعرض عليك هذا الاقتراح أيتها المهندسة.

اعتدلت "مارتينا" في هذه اللحظة – وهي التي كانت لا تزال شبه ممددة على الأريكة – في جلستها، ورفعت عينيها نحو "كيڤين" وأدركت أنه يرتعد قليلا وهو ينتظر ردها:

– يا سيد "توليڤر"، هذا مستحيل. لا أريد... لا يمكنني مغادرة "دنڤر".

العيش بـ"نيويورك" شيء لا يمكنني التفكير فيه الآن.

قطب "كيڤين توليڤر" جبهته حينما عاود حديثه:

– لست متأكدا أنك تفهمين جيدا معنى اقتراحي. ظروفك المالية ستكون من شأننا. إنك الإنسان الذي تحتاجه مؤسستنا لمواصلة تطورها. يمكنني أن أقول لك هذا مع مزيد من الحرية، إنني قد قررت توظيفك قبل أن أقابلك.

– إنني ممتنة جداً لما قلته لي لكن لا يمكنني القبول.

ألقت "مارتينا" نظرة سريعة على ساعتها التي أشارت إلى الثانية عشرة والنصف ظهرا.

استطردت المرأة وهي تنهض:

– لديّ طائرة ستقوم في الثانية ظهرا. أعتقد أنه يمكنني اللحاق بها إذا أسرعت.

www.elromancia.com

أحس "كيڤين" أن هناك سببا خفيا يجعل "مارتينا" متعجلة. لابد أن أحداً ينتظرها بمنزلها في "دنڤر". لم يجرؤ على أن يصر. اصطحبها إلى باب المكتب دون أن ينطق بكلمة. في اللحظة التي همّت فيها بالانصراف لم يستطع أن يمنع نفسه من مسك يدها وهو يعترف:

– "مارتينا"، سمحت لنفسي أن أناديك هكذا لأنك لم تعودي الآنسة "هاربر" التي أحدثها. إنك جميلة جداً. منذ وقت طويل لم أشعر بالاضطراب أمام امرأة مثلما شعرت أمامك. لا أعرف ماذا تسمينه عندكم في "كولورادو" لكنني أتمنى رؤيتك مرة أخرى.

لم تفعل "مارتينا" شيئا عندما قبّل خديها.

استطرد "كيڤين" عندما توارت المرأة في الدهليز:

– سنتقابل مرة أخرى.

*****

وجد "كيڤين" طوال الأيام التالية صعوبة في التركيز في عمله. كان متضايقاً، وفهم كل واحد ممن حوله أن هذا بسبب مسؤولياته كرئيس للمؤسسة. لم يستطع "كيڤين" أن يمنع نفسه من إعادة التفكير في "مارتينا". كان يفكر باستمرار في السبب الذي جعلها تستقل الطائرة في الحال. لقد بات مقتنعا الآن أن هذا بسبب رجل. لا، إنها لا ترتدي خاتم زواج لكن لابد أن أحداً ينتظرها بمنزلها.

تضايق "كيڤين" لكونه تصرف برعونة مع المرأة. بات مقتنعاً أن هذا يعني له أنها أعجبته غير أن عرض العمل عليها كان خطأ جسيما.

قال في قرارة نفسه وهو يلعب بالقلم بلا اكتراث: "لابد أنه شخص

لا يخلط بين حياته الخاصة وعمله"!

ظل حالما فترة طويلة ويحدّث نفسه، ثم صاح بصوت عال:

– إنها حماقة! بعد كل هذا كان يجب أن أتصرف كرئيس، كرئيس فقط: تلزمني هذه الآنسة "هاربر" كمهندسة استشارية، هذا كل ما في الأمر!

لم يخش "كيڤين" الاستنتاجات الخاصة أو سوء النوايا وضغط على زر التليفون الذي يوصله بسكرتيرته وقال:

– "صوفي" أيمكنك أن تحجزي مكانا في الدرجة الأولى بالطائرة المتجهة إلى "دنڤر"؟ لطيف منك أن تتصلي بمنزلي وتطلبي إحضار حقيبة – مليئة بالضروريات لإجازة الأسبوع – إلى المطار فورا.

كان قد اتخذ قراره ورأسه مشغول بالأسباب الجيدة أو السيئة وسيرحل في هذه الجمعة مساء لغزو "مارتينا هاربر" المهندسة المقيمة بـ"دنڤر" بـ"كولورادو".

*****

خلّفت "الفورد موستنج" وراءها سحابة كبيرة من التراب. لقد استأجرها "كيڤين" بمجرد وصوله إلى مطار "دنڤر". ومن هناك توجه إلى المكتب الذي تملكه مؤسسة "توليڤر" بالمدينة. استقبله "چيل أندرسون" الذي يعرف جيداً "مارتينا" لكونه محدثه عن الدراسات التي كانت قد نفذتها المرأة للشركة، وكان استقباله حارا ومنحه خريطة للطريق، وخط له بالقلم الأحمر الطريق الذي يسلكه ليصل إلى المنزل البعيد، الذي تقيم به الآنسة "هاربر" على قمة الجبل الصخرية.

لم يكن "كيڤين" يتصور مطلقا أن المرأة الشابة التي رآها منذ عدة

www.elromancia.com

أيام في "نيويورك" يمكن أن تسكن منطقة موحشة. منذ ما يقرب من ساعة وهو يقود سيارته في هذا الطريق المرصوف تقريبا، وبنظرة سريعة على الخريطة اكتشف أنه مازال بعيدا عن الهدف. لم تكن هناك أي لافتة تشير إلى الطريق، ولابد على "كيڤين" أن يعتمد على إشارات "چيل" التي سجلها على خريطة التوصيات الجديرة بلعبة اقتفاء الأثر للكشافة مثل: "بعد خزان الماء خذ الطريق الثالث إلى اليسار". "استدر إلى اليمين بعد الشجرة الجافة"... كان "كيڤين" – وهو يقود – يحاول تخيل حياة "مارتينا" في هذا الريف البعيد. بمجرد أن أصبح الطريق كله حصى، وقست الطبيعة، سأل نفسه: فيم يشبه "الوادي السعيد ؟" وهو اسم المكان الذي به المنزل.

بعد شاطئ طويل وقفت السيارة أمام ما يشبه لافتة قذرة تشير إلى الوادي. ميّز "كيڤين" منزلا صغيرا في الأطراف بين عدة أشجار. كان المنظر رائعا: كانت الجبال الصخرية تتيه بقممها إلى السماء كما لو كانت تلقي بظلها الحامي "للوادي السعيد". مجازفا بالأضرار التي تلحق بإطارات السيارة الفورد ضغط "كيڤين" على رافعة السرعة لكي يصل بسرعة جداً.

بعد ربع ساعة من الأخاديد وعشش الدجاج ظهر المنزل الصغير أخيراً. كان عبارة عن منزل متواضع من طابق واحد، ولكن كل جزء منه يعكس ذوق مالك المكان. كان مصراعا الباب مدهونين حديثا، وكلّ نافذة مزينة بأصيص مليء بالزهور متعددة الألوان. في اللحظة التي وقفت فيها سيارة "كيڤين" في الحوش ظهر خيال على عتبة المنزل.

كان الخيال لامرأة في الخمسين من عمرها، التي حملقت بدورها إلى "كيڤين" الذي نزل من السيارة. كانت مرتدية فوطة زرقاء من القطن وتشبه فلاحة توشك أن تتفرغ لعملها.

قال "كيڤين":

– صباح الخير هل تقيم "مارتينا هاربر" هنا؟

أجابت المرأة بهدوء:

– نعم.

– إنني "كيڤين توليڤر". هل يمكنني التحدث إليها؟ أعتقد أنها تنتظرني.

– يدهشني أنها تنتظرك!

– آه؟ ألم تتلق تلغرافي؟

جففت المرأة يديها في فوطتها واقتربت من "كيڤين"؟

– لابد أنك الرجل الذي رأته "مارتينا" منذ بضعة أيام في "نيويورك". الرجل ذو العينين الزرقاوين الواسعتين...

لم يستطع "كيڤين" أن يكتم ابتسامته: إنها تحدثت عنه إذن وذكرت عينيه!

تمتمت المرأة:

– ساخبرها لكنني لست متأكدة أنها ستسعد برؤيتك!

بعد لحظات خرجت المرأة مرة أخرى. لقد نزعت فوطتها وارتدت سترة من الصوف الخام.

– يمكنك الدخول. لكن هناك نصيحة: لا تحدثها قبل أن تأخذ حمامها! منذ أن عادت من "نيويورك" فإنها لم تتوقف عن النوم: لقد أنهت قيلولتها، ويمكنني أن أخبرك أنه يتعكّر مزاجها عندما يحدثها أحد قبل أن تخرج من الحمام! أما أنا فسأذهب لإحضار الأولاد. بالمناسبة أدعى "سيبيل"!

عندما فرغت من كلماتها هذه صعدت المرأة إلى الچيب الصغيرة المركونة أمام المنزل واختفت مع سحابة من التراب.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

عندما قررت "مارتينا" أن تنهض كان المنزل هادئا تماما. كانت هناك رائحة خفيفة للقهوة الساخنة تتسلل إلى حجرتها: "لابد أن "سيبيل" صنعتها قبل أن تنصرف"، هكذا رأت "مارتينا" في قرارة نفسها. كانت "مارتينا" تحب القيلولة حتى وقت متأخر بعد الظهر، وهذا كان يسمح لها بالعمل حتى ساعة متقدمة من الليل عندما يكون لديها عمل كثير. منذ أن عادت المرأة إلى "نيويورك" أصبحت عادة النوم بالنهار ضرورة لها طالما كان تعبها كبيراً.

دخلت "مارتينا" إلى المطبخ وتأهبت لإخراج القدح من البوفيه عندما أحست فجأة أنها ليست بمفردها في الغرفة. أدارت عينيها نحو المدفأة الكبيرة وظهر أمامها "كيڤين توليڤر". كان مرتديا قميصا من الچينز قديما بعض الشيء وبنطلون بيج من التيل. وابتسم لها.

رمشت "مارتينا" بعينيها عدة مرات. منذ أن عادت من "نيويورك" لم تتمكن من إبعاد "كيڤين" عن مخيلتها.

صاحت وهي تنفجر من الضحك:

– ماذا تفعل هنا؟

نظر "كيڤين" إلى "مارتينا" التي تضحك أمامه. كانت مرتدية "كيمونو" (١) قديما يظهر مفاتنها.

استطردت "مارتينا":

– إذا استمر صمتك فإنني ساعتقد حقا أنك شبح! كلمني على الأقل إذا رغبت في تناول قدح من القهوة معي!

(١) الكيمونو: فستان فضفاض ترتديه النساء في اليابان.

أجاب "كيڤين" الذي يبدو متأثرا أكثر منها.

– بكل سرور. لقد نصحوني على أية حال ألا أحدثك قبل أن تخرجي من الحمام!

صاحت "مارتينا" وهي تبتسم:

– آه! "سيبيل" أخبرتك إذن! صحيح أنه عندما أستيقظ أحتاج لأن أكون بمفردي بعض الوقت لأستعيد نفسي. ويقيني أن ظهورك بهذا الشكل مدهش بالشكل الكافي حتى يمكنني أن أستثنيك من عاداتي!

عندما كانت تملأ القدحين حملق "كيڤين" إلى الغرفة الكبيرة التي تسع مطبخا ومكانا للطعام في نفس الوقت.

كان المكان منظما حول مدفأة كبيرة تعطي الإحساس بالدفء والراحة إلى المكان المؤثث بأثاث غريب من المحتمل أن يكون موجودا لدى تجار المتاع المستعمل في المنطقة.

كانت هناك سجادة هندية كبيرة تغطي الأرض وتضيئها بألوانها الزاهية.

جلست "مارتينا" إلى المائدة. إنهما – أخيراً – يستطيعان التحدث عما دفع "كيڤين" إلى المجيء إلى هذا الوادي البعيد عن "كولورادو". كانت عيناه مركزتين على المرأة التي وجدها مختلفة عن التي رآها في "نيويورك" منذ بضعة أيام. كانت "مارتينا" – الموجودة في منزلها، ومرتدية ملبسا فضفاضا – أكثر جمالا، وأكثر نضارة، عن وجودها في ظل الديكور البارد لمكاتب مؤسسة "توليڤر". كانت تبدو في عيني "كيڤين" – تحت أمارات امرأة في سن الثلاثين – في قمة جمالها، كما أنها تعطي في نفس الوقت الإحساس بالثراء الداخلي والتوازن.

www.elromancia.com

همس "كيڤين" أخيراً ليكسر حاجز الصمت:

– لقد أرسلت تلغرافا. ألم تتسلميه؟

أجابت "مارتينا":

– ترى أين نسكن. من النادر أن ترسل شركات الاتصالات أحداً هنا من أجل تلغراف بسيط. لكن يحدث أن يُتصل بي!

لاحظ "كيڤين" حينذاك أعلى المدفأة صورة لولدين صغيرين في وسط حديقة. دهشت "مارتينا" لنظراته.

قالت وهي تبتسم:

– هذان هما الوحشان الصغيران اللذان لا يطيقان أن أغيب عن المنزل فترة طويلة. فهمت الآن سبب تعجلي للحاق بالطائرة بعد اجتماع مجلس الإدارة!

سألها "كيڤين" بعد تردد:

– هل أنت متزوجة؟

– لا، إن "چيف" و"تومي" طفلا أختي. لقد ماتت مع زوجها في حادثة سيارة منذ أربع سنوات.

تكدرت نظرات "مارتينا" وواصلت حديثها:

– تكفلت حينذاك برعاية الطفلين. تركت "نيويورك" حتى آتي للإقامة هنا في وسط الريف مع "سيبيل" والطفلين. وحينذاك بدأت في عمل دراسات الهندسة كمستشارة حرة. "چيل أندرسون" ساعدني كثيرا. إنه صديق جدّي الذي كان قد شيّد هذا المنزل منذ ما يقرب من خمسين سنة. كنت أمضي إجازتي هنا منذ أن كنت فتاة صغيرة... ماذا أقول؟

توقفت "مارتينا" عدّة لحظات ونظرت إلى "كيڤين" بعينيها الداكنتين كما لو كانت لا تصدق أن الجالس أمامها هو "كيڤين

توليڤر" الذي أتى متعمدا من "نيويورك" لرؤيتها.

استطردت "مارتينا" وهي تستعيد حبل أفكارها:

– نعم، عرض عليّ "چيل" عقودي الأولى، وتمكنت من تنظيم حياتي دون أن أغيب عن المنزل فترة طويلة. عملت كثيرا على الحاسب الآلي الموجود بالغرفة المجاورة أو كنت أشتغل على حاسب "چيل" بالمكتب إذا احتجت إليه.

كانت المرأة تتحدث دون أن تتوقف. لقد وثقت بـ"كيڤين" دون أن تفكر في أنها تعرفه بالكاد. كانت تتحدث باحتشام وبشكل طبيعي، وهذا ما جعلها مؤثرة جدا في عيني من يستمع إليها.

دوى جرس التليفون. نهضت "مارتينا" وتوارت في الغرفة الصغيرة التي يوجد بها مكتبها. لم تنطق المرأة إلا بضع كلمات وعادت مع ابتسامة عريضة على شفتيها:

– أحد يدعى "كيڤين توليڤر" سيصل إلى "دنڤر" هذا الصباح ويتمنى مقابلتي! أرأيت: كل شيء يأتي إلى من يعرف الانتظار! لقد وصل تلغرافك!

سأل "كيڤين" مازحاً:

– ما الذي كنت تعتقدينه إذا كانوا قد اتصلوا بك ليخبروك بهذا التلغراف قبل وصولي؟

ترددت "مارتينا":

– كنت سأتذكر اللحظة التي غادرت فيها مكتبك بـ"نيويورك" حينما قلت لي: "سنتقابل مرة أخرى"! وهانت قد أتيت: "رأيت الآن كيف أعيش وفهمت – على ما آمل – لماذا لا يمكنني العودة إلى "مانهاتن".

دوى صوت المحرك في حوش المنزل.

www.elromancia.com

استطردت "مارتينا" :

– ها قد جاء الولدان. إنهما من يحجزانني هنا.

بدا أن "كيڤين" كان يفكر وقال لنفسه: "كنت أتصور أن هناك رجلا هو من استدعى "مارتينا" إلى "دنڤر"!

دوى صوت أبواب السيارة في الحوش، ثم تبعته جلبة، ودخل كلب إلى المطبخ بينما دوت صرخات الطفلين في الرواق.

صاحت "سيبيل" بصوتها الحاد قليلا:

– لا تدخلا الكلب وامسحا أقدامكما قبل الدخول!

الفصل الرابع

ألقى الكلب بنفسه على "مارتينا" وأثار ضجة كبيرة. دخل ولد صغير حينذاك وهو يجري. كان في الخامسة أو السادسة من عمره. أخفت خصلة شعر كبيرة عينيه الداكنتين الواسعتين اللتين تشبهان عيني "مارتينا". ألقى الصبي بنفسه بين ذراعي المرأة التي رفعته من على الأرض لتقبله.

قالت وهي تشير إلى الطفل المجهول الذي جلس أمامها:

– "تومي" أقدم لك "كيڤين توليڤر".

ثم أشارت إلى الطفل الواقف على عتبة الباب:

– وهذا هو "چيف".

أجاب الولد الذي كان في التاسعة تقريبا من عمره:

– عمت صباحا يا سيدي.

عندما تقدم الصبي ليعانق "مارتينا" لاحظ "كيڤين" شيئا غير

طبيعي في مشيته. كان "چيف" يرتدي بالفعل حول الساق اليسرى حزاما معدنيا موصلا بساق حذاء أسود ضخم من الجلد.

سألت "مارتينا" الولدين:

– كيف مرّ يومكما بالمدرسة؟

تبع ذلك أدق التفاصيل لهذا اليوم الدراسي. كان الصغير "تومي" على وجه الخصوص – يتحدث كثيرا ويثير ضحك "كيڤين" و"مارتينا".

أضاف وهو يتوجه إلى "كيڤين":

– غداً يوم عيد ميلادي! إذا أردت الحضور يمكنك البقاء! ستأتي للتنزه معنا!

أجاب "كيڤين":

– إنك لطيف جداً، لكنني لا أريد أن يضايق هذا "مارتينا".

أدار عينيه حينذاك إلى وجه المرأة الذي احمر دون أن تحس.

– مطلقا! كلما كنا مجانين ضحكنا كثيرا! يمكنك البقاء حتى عطلة الأسبوع إذا لم تخش أن تتضايق هنا.

أجاب "كيڤين" دون أن تبتعد عيناه عن "مارتينا".

– كيف أتضايق؟

اقترحت "سيبيل" التي ظهر رأسها عند الباب:

– ربما كان ينبغي إذن التفكير في الأكل. هيا يا أطفال مازال أمامكما عشرون دقيقة قبل تناول الطعام!

حينما جذب "تومي" "كيڤين" ليلعب مباراة كرة قدم لحقت "مارتينا" بـ"سيبيل" لمساعدتها في المطبخ.

في اللحظة التي عبر فيها باب الدخول توقف "كيڤين" فجأة، أخبر الطفلين أنه سينضم إليهما بعد لحظات وعاد إلى المطبخ. دون أن

www.elromancia.com

ينطق بأيّ كلمة اقترب من "مارتينا" وطبع قبلة على خدها. لما فوجئت المرأة لم تستطع أن تتوارى. عندما أرادت التحدث كان الوقت متأخرا حيث كان قد اختفى "كيڤين" وسمعته وهو ينادي على "چيف" و"تومي" في الحوش.

*****

كان العشاء احتفالا حقيقيا. وجد "كيڤين" مذاق الطعام بسيطا مثلما كان في طفولته، لكنه قد نسي ذلك منذ فترة طويلة بعد أن أمضى سنوات عديدة بـ"نيويورك". كان "چيف" و"تومي" يتحدثان كثيرا، وقد ساهما في إشاعة جو مزاح استمر طوال تناول الوجبة. بعد قهوة جيدة أحضرتها "سيبيل" تم إخلاء المنضدة التي وضع الصبيان عليها ألعابهما. بينما كانت "مارتينا" تعيد النظام إلى المطبخ، رأى "كيڤين" الطفلين يلهوان، وأحس حينذاك بالوحدة الشديدة.

لقد أفهمه مشهد هذين الطفلين، وهذا المنزل كم كانت حياته فارغة حتى هذه اللحظة. لقد فقد "كيڤين" والديه منذ عدة سنوات. لكن لديه أخت متزوجة في "نيوچيرسي"، لكنهما لا يلتقيان إلا مرة واحدة، أو مرتين في السنة، ولا يشعر "كيڤين" أنه قريب منها.

لقد مرّت نساء كثيرات في حياة الرئيس الشاب لمؤسسة "توليڤر" لكن لم تنجح إحداهن في استمالة قلبه. إنهن لا يرغبن إلا في المغامرات العابرة، أو اصطحابه في عطلة الأسبوع المشمسة، لكنه لا يستطيع أن يثق بواحدة منهن عندما تأتي الأيام حالكة السواد. كان العمل يشغل معظم وقته، ولا يترك مكانا كبيراً لحياته الشخصية.

"كيڤين" أعاد التفكير في حياة "مارتينا" منذ أن تكفّلت برعاية

الطفلين. لقد تأثر بشجاعة المرأة وعزمها الذي سمح لها بعيش حياة مهنية ناجحة وحياة أسرية مثقلة بالمسؤوليات.

حينما صعد الطفلان للنوم جلست "سيبيل" بالقرب من المدفأة أمام الكرسي الذي يجلس عليه "كيڤين".

سألته قائلة:

– تنوي البقاء هنا إلى متى؟

كانت طريقة "سيبيل" مفاجئة وخرقاء، لكنها تعكس بلا سبب شيئا عطوفا ورقيقا.

أجاب "كيڤين" ببساطة:

– سأرحل يوم الأحد.

أضافت المرأة العجوز بصوت رقيق:

– حسنا... أريد منك فقط شيئا واحداً: لا تجرحها!

أجاب "كيڤين" بإشارة من رأسه. لا، إنه لا يريد بالتأكيد أن يجرح "مارتينا". لكنه يرغب في حبها!

*****

نام الطفلان وأخذت "سيبيل" إجازة من نفسها. وجد "كيڤين" و"مارتينا" نفسيهما بمفردهما جالسين حول المدفأة حيث يضطرم لوحان خشبيان.

قال: "كيڤين" ليكسر حاجز الصمت:

– أحب هذا المنزل كثيرا! أشعر فيه بالارتياح. إحساس بالرقة والسحر يستقبلك بمجرد عبور الباب...

– إنها مجاملة كبيرة منك، صحيح أنني متعلقة جداً بهذا المكان. لقد شيّد جدّي هذا المنزل: "عندما كنت أنا وأختي بنتين صغيرتين

www.elromancia.com

أخذنا على ركبتيه، وأوضح لنا بجدية أنه شيده من أجلنا" . سيصبح ملككما بعد موتي، وستربيان فيه أحفادي الصغار"! . إنه لم يكن مخطئا. "جيف" و"تومي" يعيشان به منذ الطفولة! بالمناسبة ما رأي سيادتك فيهما؟

– رائعان، إنهما يعطيان الإحساس بالسعادة والتوازن في نفس الوقت! لكنني أريد منك معروفا. ناديني "كيڤين"! ودعيني – أيضا – أناديك بـ "مارتينا" إذا رغبت؟

– اتفقنا. لكن حان دوري لأقول لسيادتك... لأطرح عليك يا "كيڤين" سؤالا: لماذا أتيت إلى "دنڤر" في عطلة الأسبوع هذه؟

– إذا نحيت جانبا رغبتي في رؤيتك فإنني أتيت لأعرض عليك أن تكوني نائبة رئيس مؤسسة "توليڤر"!

همست "مارتينا":

– نائبة الرئيس...!

في هذه اللحظة وضع "كيڤين" يده على شفتيها وقال بصوت منخفض:

– لا تردي بأي شيء الآن. لم تكن لديّ أي فكرة عما سأجده عند وصولي هنا: اتركيني حتى الغد لأستجمع الحجج التي تقنعك... لابد أن أعود إلى الفندق الآن. مازال أمامي طريق طويل قبل أن أنام.

اصطحبته المرأة حتى السيارة التي ركنها بعيدا عن المنزل بقليل.

كانت الليلة رقيقة وصافية حيث تلمع آلاف النجوم في السماء. عندما كان على بعد عدّة أمتار من السيارة أمسك "كيڤين" يد "مارتينا" برقّة وحملها إلى شفتيه. رفعت المرأة عينيها نحو السماء كما لو كانت تتذوق لمس شفتي "كيڤين" لجلدها. إنها تشعر بانجذاب نحو هذا الرجل الذي أضاف الجمال والقوة سحراً كبيرا على

وجهه.

اقترب "كيڤين" حينذاك من "مارتينا" وقبلها قبلة محتدمة:

تمتمت المرأة:

– يا لها من لحظة مدهشة! لم أعش مثل هذه اللحظة منذ فترة طويلة!

– يا!

قال "كيڤين" بصوت منخفض:

– أتيت من "نيويورك" من أجل هذه القبلة. وساعود غداً لامنحك المزيد منها!

بعد عدة لحظات صعد "كيڤين" إلى "الفورد" المركونة في أول الطريق.

دوّى المحرك في الليل البهيم وابتعدت أنوار كشافات السيارة الخلفية رويدا رويدا حتى اختفت بعد لحظات مثل النيران الزائلة في الظلمة السحيقة.

الفصل الخامس

كانت "مارتينا" جالسة أمام شاشة الحاسب الآلي في المكتب الذي خصصه لها "چيل أندرسون" عندما تحتاجه. كانت أفكار المرأة تعود دائما إلى "كيڤين" والقبلة التي منحها إياها بالأمس. ارتات المرأة أنه لم يؤثر فيها رجل إلى هذا الحدّ منذ فترة طويلة.

صاحت "مارتينا" بعد أن لاحظت أن حركة خاطفة على لوحة المفاتيح جعلتها تمسح ثمرة عدة ساعات من العمل:

– أوه! لا.

www.elromancia.com

لما شعرت بالإحباط وضعت المرأة وجهها بين يديها وقالت في قرارة نفسها: "هذا يعلمك ألا تفكري في شيء آخر أثناء عملك"!

– هل هناك مضايقات؟

هذا الصوت المنخفض لشخص ما يقف على الباب.

فوجئت "مارتينا" وقامت بنصف لفة على مقعدها متجهة نحو مصدر الصوت.

كان "كيڤين" واقفا أمامها وقد ازداد وسامة عن ذي قبل، وخصوصا مع قميصه المفتوح على جذعه الأسمر، وبنطلونه الجينز الذي يبدي رشاقته.

صاحت "مارتينا":

– أهو أنت! لقد أخفتني.

– أعرف القليل عن الحاسب. ربما يمكنني مساعدتك. ماذا حدث؟

– لا يوجد ما تفعله. لقد مسحت عملي في الفترة الصباحية: معطيات عن المواقع في منطقة "پورتلاند" و"سياتل"! كانت حماقة لكن كان يجب أن أكون يقظة.

لم ترد المرأة أن تطيل في أسباب عدم تركيزها.

نظر "كيڤين" إلى المرأة الشابة من فتحة الباب وأحس أيضا أنه أمام "مارتينا" جديدة. كانت – مع الطقم الكامل الكتاني المدعم ببلوزة من الدانتيلا البيضاء – تجسد المرأة السعيدة والمنشرحة في عملها.

سألها "كيڤين":

– كم من الوقت يتبقى أمامك للعمل على هذه الآلة الجميلة؟ أريد دعوتك على الغداء...

– لن أعيد نسخ كل هذا في ذلك الصباح لكن يجب البدء فيه.

مازال أمامي ساعة من العمل.

– حسنا جداً، لديّ موعد مع "جيل" خلال ربع ساعة.

أجدك في الصالة في الثانية عشرة والنصف؟

أجابت "مارتينا" وهي تبتسم:

– مفهوم. ساكون مستعدة.

*****

لم يكن "جيل أندرسون" في مكتبه عندما دخل "كيڤين" إليه قبل عدة دقائق من موعده. جلس "كيڤين" على مقعد جلدي مريح، وأعاد التفكير في اقتراحه على "مارتينا" بالمجيء للعمل معه بـ"نيويورك". قال في قرارة نفسه: "لماذا توافق على مغادرة "كولورادو". أسرتها، ومنزلها، وذكرياتها. كل شيء تحتفظ به هنا حيث تحيا حياة سعيدة". لم تترك هذه الفكرة "كيڤين" الذي أدرك من جانبه أنه كلما رأى المرأة الشابة أحس بالحاجة لرؤيتها أكثر. كان قبل ذلك قد فكر بقلق في عودته إلى "نيويورك" بالطائرة في مساء الأحد.

صاح "جيل" وهو يدخل المكتب:

– تحياتي يا صديقي! لم نتحدث معا منذ وقت طويل! كنت تبدو بالأمس متعجلا لأخذ الطريق إلى "الوادي السعيد" وبمجرد أن أوضحت لك الطريق كنت قد رحلت! هل عثرت على منزل "مارتينا" على الأقل؟ إنها تعيش في جانب بعيد تماما!

كان "جيل" ضخما مثل القايكنج. شعره الأشقر، وعيناه الزرقاوان، وصوته الجلي، كل شيء لدى هذا الرجل الذي يبلغ الخمسين تقريبا يسهم في أن يجعله عطوفا. علاوة على أنه أحد مراسلي مؤسسة

www.elromancia.com

"توليفر" القدامى في الولايات المتحدة وأحد الجديرين بها. حكى "كيڤين" لصديقه طول المسافة بالسيارة، والمنظر البديع الذي اكتشفه عند الذهاب إلى "مارتينا".

سأل "چيل":

– هل حالفك الحظ برؤية الولدين؟

– نعم، وأصبحنا أصدقاء! أرى أن "مارتينا" تتمتع بشجاعة مدهشة على الموافقة بملازمة "چيف" و"تومي" ولنجاحها العظيم: لا يتبقى إلا أن أراها سعيدة من أجل الطفلين! علاوة على أنني لم أخبرك أن "تومي" دعاني غدا على عيد ميلاده! أخبرني أننا سنذهب للتنزه على البركة!

استطرد "چيل" وقد تكدّر وجهه:

– البركة... إنها لم تكن في الأساس إلا سيلاً بسيطاً ينحدر من الجبل. ذات يوم قرر العزيز "هاربر" جدّ "مارتينا" أن يعدّ حمام سباحة ليسبح فيه. كان يعاني اضطرابات في القلب قبل ذلك وطلب مني مساعدته. كسرنا حينذاك أشجاراً لتحويل مجرى النهر كما وضع بعض الديناميت ليوسع الجدارين اللذين لابد أن يجري الماء بينهما.

ضحك "چيل" بمفرده وهو يتذكر هذا المشهد.

– لو كان "بيل" المسكين قد تصور أن حمام السباحة لم يعد – بعد عدة أسابيع – إلا بركة مليئة بالطين... لوجب عليه أن يستعين بأحد من "دنفر" ليهيئ حمام سباحة حقيقياً. كان متضايقا لعدم استطاعته أن يتدبر أمره بنفسه! "سيبيل" يمكنها أن تحكي لك هذا!

سأل "كيڤين":

– "سيبيل" هي الزوجة الثانية لـ"هاربر"، أليس كذلك؟

– بلى، كانت في الثلاثين من عمرها تقريبا عندما تزوجت "بيل هاربر" الذي كان يقترب من الستين! أعتقد أنهما تزوجا مدة اثنتين وعشرين سنة حتى مات "بيل". كان ذلك في السنة الأخيرة. كانت لحظة قاسية جداً على "سيبيل" و"مارتينا" التي كانت تعشق جدّها! لقد مات بأزمة قلبية: خرج من الحمام وسقط على حافته فجأة. حاولت "مارتينا" أن تنشط قلبه قبل وصول الطبيب لكن بلا جدوى ومات في الليلة التالية بمستشفى "دنفر"...

كان "كيڤين" صامتا وأخذ يفكر في حياة "مارتينا" والصعوبات التي لابد أنها واجهتها.

*****

قالت "مارتينا" بنبرة مقنعة:

– بالتأكيد يا "كيڤين" كل العوامل التي درستها تميل كفة الميزان إلى موقع "پورتلاند".

كان الاثنان قد اختارا – باتفاق مشترك – مطعما هادئا. كان يقع على بعد ثلاث ساعات، وكانت أغلبية الطاولات من حولهما خالية.

استطردت "مارتينا":

– هناك أولا الموقف الاقتصادي. "جريسون" ومصنع "إلكتروتش" سيغلقان أبوابهما بالتأكيد. علاوة على الأيدي العاملة المثالية لمثل هذه الأنشطة التي تريد تطويرها! الأرض التي وجدتها رخيصة الثمن نسبيا وموقعها مناسب. لا، لا أعتقد صراحة ما يوجب قلقك طويلا هكذا...

في هذه اللحظة رفعت "مارتينا" عينيها نحو وجه "كيڤين" الذي كان يتفرس فيها دون أن يعير حقيقة اهتماما للتفسيرات التكنيكية

www.elromancia.com

للمرأة الشابة. أضاءت ابتسامة ساحرة وجه "مارتينا".

تلعثم "كيڤين" وقد أحس بالخجل:

– عفوا... كنت... كنت شاردا! حقيقة كنت أنظر إليك.

أجابت المرأة:

– أنت محق. لابد أن تعتبرني مثيرة للسأم لأني أتحدث عن العمل في أثناء الغداء. ستقرأ تقريري عندما ينتهي!

– اتفقنا ولكن أريد أن أطلب منك معروفا! هل من الممكن أن تسلمي التقرير بنفسك؟

قالت "مارتينا" التي بدا أنها لم تفهم:

– سأحمله بنفسي إلى مكتب البريد إذا كنت تتمسك بذلك.

– لا! أريدك أن تأتي إلى "نيويورك"... إنها ستكون فرصة أيضا لرؤيتك! أعلم أنني أطلب منك الكثير – رأيت كيف تعيشين هنا وفهمت أنه لا يمكنك ترك الولدين ومنزلك...

– متأسفة يا "كيڤين". لا أعلم كيف أفسر لك ما أشعر به. لست حرة في التخلي عن حياتي.

اخفض "كيڤين" عينيه بحزن.

قالت "مارتينا" لتغير الموضوع:

– لماذا لا نمضي فترة ما بعد الظهيرة معا؟ سأريك "الوادي السعيد" ثم نذهب لتناول الطعام مع الولدين في مطعم "سميث". لابد أن آخذهما بعد تدريب الكرة والمطعم قريب من هناك.

لا يهم "كيڤين" كثيرا أن يعرف مكان ذهابهما للتنزه. إنه يريد فقط أن يكون مع هذه المرأة المدهشة التي يكتشفها رويدا رويدا، والتي تجذبه كل ابتسامة منها. عادا أولا إلى المكتب حيث غيّرت "مارتينا" ملابسها قبل أن تستقل الجيب المناسبة تماما لطريق "الوادي

السعيد".

غيرت المرأة الشابة ملابس عملها الجميلة ببنطلون من التيل الفاتح، وبلوزة فخمة من الحرير الأخضر الذي يلعب بشكل رائع مع ضوء الشمس.

*****

اغتنم "كيڤين" قليلا المشهد الرائع الذي يمر به طوال الطريق المؤدي إلى الوادي. لم يستطع أن يبعد عينيه عن "مارتينا". سارا مدة ساعتين ثم توقفت السيارة عندما أرادت "مارتينا" أن تطلع "كيڤين" على بانوراما خيالية، أو مستودع الحصيد القديم الذي كان قد بدأ مع غزو الغرب. ثم وصلا إلى القرية الصغيرة التي كانت تعتبر مركز المدينة الاجتماعية لكل الوادي.

كانت المدينة الصغيرة ساحرة جدا وخصوصا مع منازلها الخشبية المتراصة بطول الشارع الرئيسي. كانت "مارتينا" ترغب في شراء بعض الحاجات وتبعها "كيڤين". اكتشفت حينذاك أن المجمع العصري يضم العديد من المحلات، ودخلت إلى صيدلية لشراء دواء لـ"چيف". لم يتوقف "كيڤين" عن تسلية "مارتينا" التي لم تضحك بهذا الشكل منذ فترة طويلة. كانت المرأة تعرف تقريبا كل التجار الذين قدمت إليهم "كيڤين" على أنه صديق من "نيويورك".

وضع "كيڤين" يده على كتف "مارتينا" التي لم تفعل شيئا لتمنعه من ذلك.

أحست المرأة حينذاك أن هذا الرجل العظيم يحميها ويعجب بها.

عندما وضع "كيڤين" اللفّات في مؤخرة الجيب وسرحت "مارتينا" بنظراتها.

www.elromancia.com

سالها قائلا:

– فيم تفكرين؟

ابتسمت المرأة:

– أرى أنك رجل طيب حيث تعهدت بحمل لفات البضائع...

ثم توقفت برهة قبل أن تضيف وهي ترفع بحركة مفاجئة غطاء يخفي عن الأنظار عدة حقائب من الملابس الداخلية:

– ... ورجل جذاب جداً أيضا. لكنني أحتاج إلى مساعدتك في كل هذا. لابد أن نسرع فإن المغسلة الآلية تغلق هنا في وقت مبكر، وليس لها أي علاقة بـ"نيويورك".

استطرد "كيڤين" وهو يتصنّع الضيق:

– ماذا؟ أستفرضين عليّ أيضا حمل الملابس الداخلية؟ كنت أعتقد أنني لن أطأ بقدميّ مثل هذا المكان!

لاحقته "مارتينا" وهي تنفجر ضاحكة:

– يا للحزن لأن تكون سليل عائلة كبيرة! المغسلة الآلية مكان شاعري جدا! هذه الرائحة للنشا ومسحوق الغسيل... وكل هذه الفتحات المتراصة في صفوف منتظمة. ثم هناك التوزيع الآلي للحصول على المسحوق الأبيض لتجفيف الملابس بعد ذلك... أرى أن هذا مسلٍ أكثر من صالات اللعب في "لاس ڤيجاس". ثم هناك شيء أخير تجهله: نحن نقابل أناسا رائعين في المغسلة!

قال "كيڤين" وقد اندهش كثيرا:

– آه، نعم؟ وأي صنف من الناس نقابله؟

– فلاحات وعزابا وطلابا ومسافرين...

– وهل يمكننا أن نقابل هناك أيضا مستشارين للمواقع الصناعية، جذابين، مثل أحدهم وتدعى "مارتينا هاربر"؟

همست المرأة وهي تناوله الحقائب:

– من أجل هذا يجب أن تتبعني.

كانت آلات الغسيل الأتوماتيكية بمثابة ذريعة للضحكات، ومزاحات جديدة. عهدت "مارتينا" إلى "كيڤين" بمهمة وضع النقود في الآلة.

تمتم "كيڤين" وهو يقهقه:

– إذا شاهدني أعضاء مجلس الإدارة لمؤسسة "توليڤر" في هذه اللحظة! وفي هذه اللحظة اقترب "كيڤين" من المرأة التي أمسك خصرها نظرت إليه المرأة بتعقل وقالت:

– ماذا ستفعل إذا دخل أحد في هذه اللحظة؟

– لا شيء على الإطلاق. لقد شاهدنا كل سكان هذه المدينة معا بعد الظهر وفهموا ما أحس به!

بدا الوقت متوقفا حينما تبادلا قبلة رقيقة.

– "مارتينا"، "مارتينا"! ماذا تفعلين؟

كان هذا هو صوت الطفل "تومي" الذي دخل دون أن يثير أي ضجة في المحل.

صاحت "مارتينا" وهي تأخذ الصغير بين ذراعيها:

– "تومي"! لكن كيف دخلت؟

إذا لم يجب الصبي فإنه يبدو متأثرا بهذه القبلة التي فوجئ بها.

قال له "كيڤين" حينذاك:

– عندما تكبر ستفهم أن تقبيل النساء الجميلات مثل "مارتينا" شيء مستحسن جداً... ألا تشعر بذلك عندما تقبلك؟

أجاب "تومي" وقد بدا مقتنعا بهذا التبرير.

– أوه! بلى.

www.elromancia.com

رفع "كيڤين" الصبي في الهواء، ووضعه على كتفيه، وخرج بهذا الوضع إلى الشارع الذي لا تزال الشمس تضيئه. كانت "سيبيل" موجودة هناك مع "چيف" ولحقت بهم "مارتينا" بعد لحظات. بدأ الطفلان يرويان قصص الأفيال، والزرافات التي أضحكت "كيڤين" كثيرا. لم تقل "سيبيل" شيئا، لكن بدت أنها تراقب موقف "مارتينا" بعناية.

*****

كان مطعم "سميث" يرتاده الكثيرون حيث كان يوجد في نهاية الشارع الرئيسي. كان يُقدم به منذ الصباح الفطور، وبقية اليوم كان يتواجد به كل مجتمع المدينة الصغيرة الذي يرقص في المساء على الأرض الخشبية الموجودة في وسط الطاولات. في أحد الجوانب كان "كيڤين" و "مارتينا" و"چيف" و"تومي" و"سيبيل" ينتهون من تناول الحلوى: قرطاس كبير من المثلجات بالشوكولاتة.

تعجبت "مارتينا" قائلة:

-تناولت "هوت دوج" عند وصولك واليوم هامبورجر، لابد أنك لم تعتد على مثل هذا النوع من النظام الغذائي بـ"نيويورك"!

– ولهذا فإنني سعيد بالقدر الكافي. أكره وجبات رجال الأعمال وجعلتني أكره أفخر مطاعم الدنيا!... ثم إنني أعتقد أن المطبخ الأمريكي الجيد مثل هذا له سحره الخاص!

سأل "تومي" الذي غطت الشوكولاتة فمه:

– هل يوجد "هوت دوج" في "نيويورك"؟ لأن "چيف" لن يكون سعيداً بالذهاب إليها لإجراء عمليته إذا لم يستطع أكل "الهوت دوج"!

قطب وجه "چيف" فجأة:

سأل "كيڤين":

– عمليته، أي عملية؟

أجابت "مارتينا":

– لابد أن يُجرى لـ"چيف" عملية بسرعة بساقه... أعتقد أننا سنقرر إجراءها بـ"نيويورك"، أليس كذلك يا "چيف"؟

ابتسم الصبي ابتسامة باهتة. تدخلت "سيبيل" حينذاك في الحديث بطريقتها الفظة المعتادة:

– آمل أن تغتنمي هذه الفرصة إذا أردت البقاء عدة أيام بـ"نيويورك" لتكملة إجراءات تغيير لقبك!

استدارت "مارتينا" – التي لم تتوقع مثل هذا التدخل من "سيبيل" – نحو "كيڤين" وقالت مفسرة:

– نعم... "هاربر" لقب زوجي السابق. عندما حدث الطلاق لم تكن العلاقة بيني وبين والدي على ما يرام وبطريقة سخيفة رفضت استعادة لقبي كفتاة صغيرة... كانت أيضا وسيلة حتى لا أنسى أنني قد ارتكبت خطأ فادحا بالزواج بـ"توني هاربر" في أحد أيام الصيف.

– هل كنت زوجة "توني هاربر"... الأشقر الكبير والمحامي على ما أعتقد؟ إنني أعرفه تقريبا.

فضل "كيڤين" ألا يتكلم كثيرا خوفا من أن يرعب "مارتينا". أحد أصدقائه – "چيف مانتينج" – تنازع مع هذا الـ"هاربر" الذي بدا رجل قانون محتالا وشخصا غاويا للاستعلاء والتعاظم.

ومؤخرا سمع "كيڤين" من جديد ما يفيد أنه هرب من "نيويورك" مع فتاة صغيرة في الثامنة عشرة من عمرها التي تعتبر – بالمصادفة –

www.elromancia.com

الوريثة لثروة كبيرة. تعجب "كيڤين" في قرارة نفسه عن الكيفية التي استطاع بها هذا الشخص الزواج بـ "مارتينا" لكن لم يكن لديه الوقت للتفكير كثيرا في "توني هاربر" حيث اقتربت سيدة في سن معين من مائدتهم.

قالت هذه السيدة بصوت متناغم:

– طاب يومك يا "مارتينا" وأنت يا "سيبيل" وأنتما أيها الولدان..

ثم نظرت إلى "كيڤين":

– لا أعرف هذا السيد، هل هو أحد أفراد عائلتك يا "مارتينا"؟

أجابت المرأة بجفاء لتمنعها من أي تعليق:

– لا، "كيڤين توليڤر" صديق من "نيويورك".

همست العجوز بصوت معسول:

– حسنا جدا، حسنا جدا. إنني سعيدة جداً لأن أرى المياه تبتسم لك أخيراً بعد كل تجاربك... لكن "ستانليلي" هو الذي سيحبط. المسكين كان يريد أن يكون أبا لهذين الصغيرين!

– "روث"!

كان صوت "سيبيل" بمثابة نقطة نظام إلى السيدة العجوز. غيرت المرأة العجوز "روث بلاكبيرن" الموضوع في الحال:

– بالمناسبة يا "مارتينا" لابد أن تعتني بكلبك. لقد أتلف لي زهور البجونيا... سيضايقني أن أتحدث إلى العمدة بشأن ذلك. هيا، عمتم مساء!

انصرفت السيدة حتى باب المطعم بعد أن فرغت من كلامها.

سألها "تومي" بنبرة قلقة:

– أتعتقدين أنها ستكلم العمدة حقا؟ إنني متأكد أنه يريد حبس "بيل" في قفص.

– لا، اطمئن، لن يحدث هذا. "روث" تقول هذا فقط لتخيفنا. ثم إن العمدة صديقي وساتحدث إليه بشأن هذا الموضوع!

ظل "كيڤين" صامتا حينما تذكر الطفلان كلاهما "ستانليلي، ستانليلي...."

لم يستطع "كيڤين" أن يطرد من ذاكرته هذا الاسم الذي ذكرته العجوز "روث بلاكبيرن" في أثناء حوارها.

الفصل السادس

كانت الساعة تشير إلى السابعة والنصف عندما اصطحبت "سيبيل" الطفلين إلى المنزل. عاد "كيڤين" و "مارتينا" إلى المغسلة لاستعادة بالة الغسيل النظيف والجاف. ساعد "كيڤين" المرأة الشابة على طي الملابس على مائدة معدنية طويلة مجهزة لهذا الغرض. كانت كل الآلات قد توقفت في هذه الساعة المتأخرة وساد صمت غير معتاد في المحل.

قالت "مارتينا" بنبرة حزينة:

– حكى جدّي لي أنه لم يشتر أبداً ماكينة غسيل لزوجته لأن الغسيل كان سببها الوحيد للذهاب إلى المدينة. وهذا صحيح لأنه كان يزرع كثيرا ويشتري قليلا من الخضراوات والفاكهة. علاوة على أنه كان نباتيا! لم يكن يستثني إلا الأسماك التي كان يصطادها "جيل" من النهر... لكنني أعتقد أنني سأقتني غسالة قريبا. الطفلان يوسخان ملابسهما كثيرا أثناء اللعب.

ثم إنني أمتلك مناسبات عديدة غيرها للذهاب إلى المدينة.

كان "كيڤين" يلتزم الصمت دائما الذي أصبح ثقيلا بالتدريج.

www.elromancia.com

أعادت "مارتينا" التفكير في كلام الخبيثة "روث". ارتاحت في قرارة نفسها أن هذا أزعج "كيڤين" بالتأكيد.

سأل "كيڤين" أخيرا وهو يخرج من حلمه:

– أخبريني ماذا يعاني "چيف" بالضبط في ساقه؟ هل هي إصابة وراثية؟

– لا.

تلعثمت "مارتينا" التي لم تتوقع أن يتطرق "كيڤين" إلى هذا الموضوع في هذه اللحظة بالذات:

– كلا، مطلقا! كان "چيف" و"تومي" موجودين في السيارة أثناء الحادثة التي مات فيها والداهما.

كان صوت "مارتينا" حزينا وهادئا في الوقت نفسه كما لو كانت تحكي حلما فظيعا أصبح – للأسف – حقيقة.

ثم واصلت حديثها:

– حدث هذا بالضاحية الشمالية لـ"نيويورك". كانت في الشتاء، والطريق مغطى بالثلوج. اصطدمت السيارة بمؤخرة مقطورة كبيرة.

تحطّمت مقدمة السيارة تماما تحت تأثير الصدمة، لكن لحسن الحظ انفصل الجزء الخلفي تقريبا. "تومي" كان معلقا في مقعد الطفل الرضيع. لم يكن لديه سوى سبعة عشر شهرا! ظل فاقدا للوعي عدة ساعات، لكنه خرج من الحادثة وهو يعاني كدمات. أما "چيف" فقد عانى كدمات أيضا، لكن قوة الصدمة كسرت له عظم الفخذ. وهنا تعقدت الأمور: "الكسر موجود في منطقة حيوية لنمو العظام وبذلك تأخر بالنسبة للساق الأخرى. تحققت الفحوص من ذلك للأسف في الصيف الماضي... عندما علم "چيف بذلك قال لي شيئا مرعبا بالنسبة لطفل في عمره: "تعلمين أن هذا أفضل من الموت في

حادثة".

رأى "كيڤين" الدموع التي سالت على جانبي عيني "مارتينا". ضمها إليه، وشعرت المرأة بالارتياح الذي لم تلق مثله سواء عند وفاة أختها، أو جدّها اللذين كانت تحبهما بجنون. يكفي وجود هذا الرجل الذي تعرفه بالكاد لتهدئتها.

قالت له وهي تنظر في عينيه:

– إنك عظيم يا "كيڤين".

سألها "كيڤين" بعد قليل:

– لكن لماذا يرتدي "چيف" هذا الطوق المعدني حول الساق؟

– في الخريف الماضي... اشتكى "چيف" كثيراً من ساقه. ذهبنا حينذاك إلى الطبيب لاستشارته، وأكد لنا أن عظم الساق المصابة والضعيفة منذ الكسر تنفصل بمرور الوقت. وحينذاك اقترح علينا عملية زرع للعظام حيث سيقتطع خلايا عظمية من ورك "چيف" ويزرعها على عظام الساق المصابة. على أية حال لقد وصف هذا الطوق المعدني ليخفف آلام كسر الفخذ، وليسمح لـ"چيف" بالجري قليلا، أو اللعب مثل الأطفال الآخرين. نصحني هذا الطبيب بالتوجه إلى الدكتور "كانال" بـ"نيويورك" وهو متخصص في مثل هذا النوع من المشكلات بالنسبة للأطفال. إنها بمثابة عملية تجبير. وأعطيته الملف الطبي وننتظر تشخيصه قبل أن يتخذ قراره بشأن العملية.

قال "كيڤين" بهدوء:

– إنني متأكد أن كل شيء سيصبح على خير ما يرام. الجراحون يقومون بعمل المعجزات اليوم. إن حظ "چيف" كبير لكونك تعتني به. إنك حقا امرأة مدهشة!

استطردت "مارتينا":

– أتعتقد هذا حقا؟ ينتابني إحساس بأنني أحبطتك عندما ذكرنا زواجي بـ"توني" عند جلوسنا على الغداء. تعرفه جيداً، أليس كذلك؟ وربما في أحلى أيامه؟

– لا تشغلي بالك بهذا. كنت أفكر ببساطة في أن هذا الشخص لا يناسبك. إنك إيجابية تماما، وتميلين إلى عمل الخير، وتجعلين من حولك سعداء...

احمرت "مارتينا" قليلا عند سماع هذه المجاملة. شعرت بالارتياح لعلمها أن "كيڤين" ليس معتنيا بحياتها الماضية.

قالت:

– لقد انتهينا من كل شيء مع هذه الملابس! لم يتبق أمامنا إلا وضعها في الجيب ويمكننا العودة بعدها.

لحق بها "كيڤين":

– العودة؟ بالتأكيد لا! ساصطحبك للرقص بمطعم "سميث"!

إن أرضه الخشبية أغرتني كثيرا! ثم إنني لم أخرج منذ وقت طويل! كما أنني متأكد أننا سنستمتع كثيرا!

– أنا أيضا لم أرقص منذ وقت طويل. لم أعد أعرف...

– الرقص، إنه مثل ركوب الدراجات ولا يُنسى أبداً.

*****

عندما دفعت "مارتينا" باب "سميث" وشقت طريقها بين حشد الشباب المارين به، أحست أنها في السادسة عشرة من عمرها. لقد كانت هي صاحبة فكرة اصطحاب "كارولين" أختها إلى هذا المكان الساحر لأول مرة. تذكرت المرأة الغضب الذي تملك جدّها عندما علم بالمغامرة الليلية للبنتين. تساءلت "مارتينا" في قرارة نفسها عما

إذا كان المكان راق لـ"كيڤين" الذي أبدى تعجلا في اصطحابها هناك.

عندما دخلت "مارتينا" و"كيڤين" إلى الصالة الكبرى كان يستحيل عليهما التعرف على المطعم الذي كان قد تركاه بعد العشاء مع "سيبيل" والولدين. كانت الصالة مليئة بالراقصين والراقصات. دهش "كيڤين" عندما وجد هذا القدر من الناس، واستنتج من ذلك أن "سميث" أصبح ملتقى الشباب الذين يقطعون عشرات الكيلومترات من جميع الجهات. بمجرد أن تقدمت "مارتينا" إلى حلبة الرقص حيّاها عدد كبير من الأولاد والبنات الذين بدوا دهشين وسعداء من وجودها في هذا المكان. لم يكن "كيڤين" قد ترك يد "مارتينا" وجذبها إلى مائدة توجد بجانب حلبة الرقص.

همس "كيڤين" وهو يداعب المرأة:

– إنك جميلة جداً هذه الليلة.

– إنني أشعر بالارتياح معك. لكن لا أعرف سببه. منذ وقت طويل لم أشعر بمثل هذا الإحساس مع رجل...

بدأت "مارتينا" و"كيڤين" حواراً مليئاً بالكلمات الرقيقة والحانية عندما وضعت يد عريضة على كتف المرأة. رفع "كيڤين" عينيه، واكتشف رجلا أشقر وذا عضلات يقبل خدي المرأة بحماس. كان مهيبا وقوي البنية.

قالت "مارتينا" وهي تتولى التقديم:

– "كيڤين" أقدم لك "ستانلي سيمون".

"ستانلي"، جال هذا الاسم ببال "كيڤين" بسرعة الضوء: بدون شك إنه "ستانلي" الذي تحدثت عنه "روث بلاكبيرن" عند نهاية العشاء.

بينما كانت "مارتينا" و"ستانلي" يمزحان، أدرك "كيڤين" في نهاية

www.elromancia.com

الحوار أن حدسه صحيح: هذا الأشقر الضخم الجالس إلى مائدتهما مدرب الكرة لـ "جيف" و "تومي".

قال "ستانلي" بعد فترة صمت:

– إنك رائعة هذا المساء يا "مارتينا". يا للفكرة الجيدة لأن تأتي هنا هذا المساء! نادرا ما نراك هنا!

– إنه "كيڤين" الذي أحضرني. كان يرغب في الرقص.

قال "ستانلي" وهو يتوجه بسخرية إلى "كيڤين":

– أعتقد أنك سترحل الأحد؟

أجابه "كيڤين" الذي بدا متضايقا:

– نعم... إلا إذا غيرت رأيي. ثم إن اليوم ليس إلا الجمعة قال "ستانلي" وهو يطبع قبلة على خد "مارتينا":

– حسنا، ساترككما.

بعد عدة لحظات قالت المرأة:

– هناك العديد من الذكريات التي حدثت في هذا المكان... أتى "ستانلي" إلى هنا منذ سنوات. عندما كان في السادسة عشرة من عمره وظّفه "سميث" ليخدم في الصالة مع بعض الرفقاء. وقد كان هؤلاء يعملون حتى الحادية عشرة والنصف مقابل حفنة من الدولارات: كان الآباء يفرضون أن يعود الجميع في منتصف الليل. وذات يوم خدم "ستانلي" كثيرا، واقترح على "سميث" أن ينشط الصالة ببعض الموسيقى وهكذا ولدت فرقة "سميث" الأولى!

– وهل جئت للرقص هنا قبل ذلك؟

– نعم، أتيت مع أختي "كارولين". كان لابد علينا أن نخرج في الخفاء!

في اللحظة التي نطقت فيها المرأة الشابة هذه الكلمات توقفت

الموسيقى ودوى صوت "ستانلي" في المكبر:

– أصدقائي الأعزاء، لاحظتم أنه توجد بيننا الليلة واحدة غابت عن هنا فترة طويلة... واسمها "مارتينا هاربر".

صفق حشد الراقصين لـ "مارتينا" التي نهضت واقتربت من المنصة. في هذه اللحظة أشار "ستانلي" إلى الفرقة التي عزفت أغنية مشهورة للمغنية "باربرا سترايسند". أمسكت المرأة بعد ذلك الميكروفون بين يديها وأخذت تغني. تأثر "كيڤين" بصوت "مارتينا". كانت مدهشة ورائعة حقا.

دوى التصفيق الحاد مع المقطع الأخير للأغنية وعلى حسب ما قيل! إنهم أيقظوا "مارتينا" من سبات عميق. رمشت المرأة الشابة جفونها، وحيتهم بسرعة، ووجدت "كيڤين" متأثرا جداً مما قد سمعه. اقترب بعض الأصدقاء أيضا من مائدتهما ليهنئوا هذه المغنية، وبعد ذلك ظل "كيڤين" و "مارتينا" وحيدين.

قالت المرأة:

– إنني متأسفة على هذا الفاصل الترفيهي. لم أتوقع هذا مطلقا. إنني...

قاطعها "كيڤين":

– لكنك كنت رائعة! لم أكن أعرف أنك تشتغلين مهنة أخرى. إنك مهندسة استشارية من جانب، ومغنية من جانب آخر! إنني لا أمزح، إنني أراك مدهشة حقا!

– كل هذا بدأ عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري. "ستانلي" كان رئيس "فرقة سميث"، وكان يبحث عن مغنية لتصطحبهم. عملت محاولة ثم اشتغلت. أحببت هذا كثيرا. هذا سمح لي بتوفير القليل من مصروف الجيب وبما إنني كنت أعشق دائما الغناء...

www.elromancia.com

صمتت "مارتينا" برهة قبل أن تضيف بفخر:

– فإن موسوعتي امتدت بعض الشيء. غنيت أغاني لـ"باربارا سترايسند"، والبومات "ديانا روس"، ثم أراد "ستانلي" في نهاية السهرة أن يوجد جوا صاخباً، وحينذاك استعارت أغاني "بيلي هوليداي"! ترى أنني في هذا الوقت لم أكن أخشى شيئا فقد بدا لي هذا منذ زمن بعيد!

بدأت الأوركسترا عزف موسيقى هادئة جدا. عاد كل اثنين من الراقصين والراقصات إلى حلبة الرقص تحت ضوء الكشافات الخافت.

سأل "كيڤين" وشبه ابتسامة على شفتيه:

– أتمنحينني هذه الرقصة أيتها العزيزة "مارتينا"؟

دون أن تنطق بكلمة واحدة أمسكت "مارتينا" يده وجذبته إلى منتصف الصالة. أحاطت ذراعا "كيڤين" القويتان المرأة بقوة وتهادى جسماهما تحت تأثير الموسيقى في هذه الظلمة. أحست "مارتينا" بنفس "كيڤين" على عنقها، وهذا ساهم أيضا في زيادة اضطرابها. كانت الأغنية على وشك الانتهاء عندما رفعت المرأة رأسها، وتاهت نظراتها في عيني "كيڤين" الزرقاوين اللتين تعكسان عاطفة رجل عاشق.

همست "مارتينا" في أذن فارسها:

– هيا بنا!

أشار "كيڤين" برأسه واتخذ الاثنان طريقهما نحو باب الخروج وكل منهما ممسك بيد الآخر.

*****

وصلا إلى السيارة الجيب، وحينذاك أمسك "كيڤين" "مارتينا" من

خصرها وداعب شعرها ببطء.

قالت وقد شعرت ببعض الاضطراب:

– "كيڤين"... لقد قضيت معك يوما ممتعا.

– صحيح أنه كان يوما جميلا. لكن كل الأيام أصبحت جميلة منذ صباح الأربعاء عندما رأيتك في وسط اجتماع مجلس إدارة مؤسسة "توليفر"... في نفس اليوم فوجئت بك نائمة على أريكة مكتبي. ثم كان "الكيمونو" الحريري في صباح ذلك اليوم الذي وصلت فيه إلى "الوادي السعيد". واليوم اكتشفت وجها آخر لنفس المرأة: اكتشفت تلك المرأة التي تغني مثل "باربرا سترايسند". لقد تأثرت بصوتها وسحرها...

كانت المدينة الصغيرة صامتة تماما. كان الغناء الظريف لصرصار الليل الذي يدوّي في هذا المساء هو الوحيد المسموع. كانت الليلة رائعة وتاهت أنظار "كيڤين" و"مارتينا" في هذه السماء المرصعة بالنجوم.

همس "كيڤين":

– "مارتينا"، أعتقد أنني أحبك. لا تخبريني بأن هذا غير مستحسن. اتركي لي فقط قليلاً من الوقت لأفهم ما حدث لي ربما أجد حلا.

اعتدلت "مارتينا" وركزت عينيها على وجه "كيڤين" الساكن وقالت:

– كيف سنتصرف يا "كيڤين"؟ كيف يمكننا أن نكون سعيدين وكل منا يبعد عن الآخر آلاف الكيلومترات؟ إنك شخص جذبني بقوة، لكن لا يمكنني التفكير في العودة إلى "نيويورك" كما تعلم! إنني...

www.elromancia.com

وضع "كيڤين" إصبعه على فمها ليمنعها من مواصلة حديثها:

– صه، لقد تأخر الوقت لمناقشة مثل هذه الأمور الجادة.

أغمضت عينيها كما لو كانت قد استسلمت بأكملها إلى الليل وإلى الرجل الذي يضمها بين ذراعيه.

الفصل السابع

نهضت "مارتينا" مبكرا في اليوم التالي حتى تنتهي من استعدادات غداء عيد ميلاد "تومي". رحلت "سيبيل" مع الولدين لتتحقق من أن الإضاءة مضبوطة حتى تضع كراسي الحديقة بالقرب من حمام السباحة.

فاحت رائحة الحلوى من الفرن التي ترعاها "مارتينا" بعناية وهي تنتهي من إعداد بيتزا كبيرة. حينما كانت تقطع البصل وتبكي دخل "كيڤين" في صمت إلى المطبخ.

سأل وقد رأى الدموع تسيل على خديها:

– ماذا بك؟

صاحت "مارتينا" وهي تنفجر ضاحكة:

– لا شيء على الإطلاق. إنني أوشك أن أقطع البصل، هذا كل ما في الأمر!

استطرد "كيڤين" وهو يطبع قبلة على عينيها المحمرتين:

– أحب هذا كثيرا. كيف حالك هذا الصباح؟

– بخير. لابد أن أعترف لك أنني فكرت فيك عند استيقاظي، وفي أمسيتنا أمس، وفي القبلات التي تبادلناها تحت النجوم.

جلس "كيڤين" إلى مائدة المطبخ، وساعد "مارتينا" على الانتهاء

من تقشير البصل، وتحدثا عن أشياء كثيرة. طرحت "مارتينا" عدة أسئلة بشأن "هوبز"، ذلك الرجل الصغير الذي استقبلها عندما حضرت اجتماع مجلس الإدارة في مؤسسة "توليڤر". تحدث "كيڤين" كثيرا عن هذا الرجل الذي هو في مثل سن والده، ويحتل مكانا مهما في حياته، كان "هوبز" بالنسبة لـ"كيڤين" نوعا من السند الوثيق الذي يتزود منه هذا الأخير بالمعرفة والخبرة عندما يريد أن يتخذ قراراً مهما. إن العقلية المنظمة لـ"هوبز"، وعبقريته الفذة في الاستماع إلى كل واحد، هما خير مساعدة يقدرها "كيڤين" تماما. وبمرور الأسابيع، وبمرور الشهور أصبح "هوبز" المستشار الذي لا غنى عنه لـ"كيڤين"، سواء في حياته العملية، أو في بعض نواحي حياته الخاصة.

سأل "كيڤين" وهو يفتح الباب الزجاجي ليشم الرائحة الطيبة التي تخرج منها:

– هل هذا هو جاتوه عيدالميلاد؟

– نعم، لكن يجب أن أزينها بالمكسرات والفواكه المشكّلة هذه... انظر ها هو "چيل أندرسون" قد أتى! اذهب إذن لمقابلته، وتحقق من أن كل شيء على ما يرام. "چيل" يعرف الطريق وسيدلك عليه...

– اتفقنا، سأذهب. لكنني في احتياج إلى قبلة الطريق!

– إنك دائما تختلق الأعذار لتقبلني!

لما خرج "كيڤين" من المنزل أشار بيده إلى "چيل" من أجل أن ينتظره. مشى الاثنان عبر أشجار الصنوبر التي تفوح منها رائحة جميلة.

أشاعت الشمس الساطعة في السماء حرارة تليق بيوم صيفي

www.elromancia.com

بديع.

قال "جيل" ملاحظا وهو يواصل سيره على الدرب الموصل بين الأشجار:

– "تومي" محظوظ لأن يكون الجو جميلا في عيد ميلاده.

– نعم، لابد أن نأمل نجاح الحفلة. عندما كنت طفلا كان والدي يقيم أحيانا حفلات لي ولأصدقائي وأتذكر بعضها أيضا. أذكر الجاتوهات التي كانت تجهزها أمي بهذه المناسبة. أتذكر الدراجة الحمراء التي تلقيتها في عيد ميلادي الثامن...

كان "كيڤين" حالما وهو يعيد التفكير في ذكريات الطفولة، وحدث نفسه إنه الآن في السن المناسبة لعمل ذكريات جديدة للأطفال الذين يأمل في الحصول عليهم، ويثبت له ذلك شكل منزل "مارتينا" وهذا هو ما يبحث عنه طالما يشعر بالارتياح بين هذين الطفلين وخالتهما.

وصل "جيل" و"كيڤين" أخيراً إلى المكان الذي سُيجرى فيه الاحتفال بعيد الميلاد. كان المكان رائعا. كانت أشعة الشمس تتسرب من بين أشجار الصنوبر وتشع ضوءا هادئا. وضعت "سيبيل" و"چيف" و"تومي" المائدة أسفل شجرة الصفصاف الباكية، التي تحيط بحمام السباحة، الذي كان عبارة عن مساحة واسعة من الماء الصافي، يشبه البركة أكثر من كونه حمام سباحة، حتى في وجود درجات السلم التي تسمح بالنزول إليه للاستحمام.

كانت كل أصناف الزهور العطرية مزروعة لتزين جوانب حمام السباحة. كان المكان رائعا حقا.

قدم "جيل" أقاربه إلى "كيڤين". لقد أتت كل عائلة "اندرسون": فإلى جانب زوجة "جيل" أتت ابنتاه مع زوجيهما وأطفالهما

الصغار. كل هذا العالم الصغير قد ألقى بنفسه في الماء، واستمتع بصحبة "چيف" و"تومي". في هذه اللحظة تفرّس "كيڤين" في رجل وامرأة يسيران نحو مكان الاحتفال. قطب "كيڤين" حاجبيه وهو يتعرف على "ستانلي" الذي يقترب بصحبة امرأة شقراء بدينة تضع مكياجاً مغالى فيه. فكر "كيڤين" وشعر بالارتياح لأن يرى "ستانلي" بصحبة امرأة وقال في قرارة نفسه: "على الأقل لن يحاول مغازلة "مارتينا" أمامي. اقتربت الشابة التي تصاحب "ستانلي" من "جيل" و"كيڤين" بتعاظم. كانت مرتدية برمودا زيًا من قطعة واحدة أظهر بدانتها.

تمتم "جيل" بين أسنانه وقد بدا متعاطفا مع "كيڤين":

– لن تكون "مارتينا" سعيدة.

دهش "كيڤين":

– لماذا تقول هذا؟ هل ستحزن لأن "ستانلي" لم يأت بمفرده؟

– لا، إنك لم تفهمني بعد. ستغضب لأنه اصطحب مثل هذه البنت! الجميع يعرفونها جيداً في المنطقة، إنها "أنچيلا هارتود". إنها تتمتع بسمعة سيئة في المدينة. منذ سنوات تواعدت "كارولين" أخت "مارتينا" مع مُربي حيوانات في المنطقة... لكن "أنچيلا" عزمت على إغراء هذا الفتى وحينذاك وجب على المسكينة "كارولين" أن تبتعد بسرعة... لكن لن نتحدث كثيرا عن هذا فـ"مارتينا" آتية نحونا!

ظهرت المرأة بالفعل حينذاك. كانت مرتدية بنطلون چينز من التيل البيج، وقميصا هنديا واسعا. كان شعرها ينسدل على كتفيها وتمشي بخطوات واثقة. لم تنزل عينا "كيڤين" من عليها: كانت تشبه نجمة السينما في أثناء الإجازة التي – دون أن تعير اهتماما

www.elromancia.com

خاصا بملبسها – تبدو مشرقة وجميلة.

صاحت وهي تشير إلى الأطفال الذين يلعبون في الماء:

– نهاركم سعيد جميعا. أليس هذا يوما رائعا للتنزه؟ يمكنني أن أقول إنك محظوظ يا "تومي"، أليس كذلك؟

أجاب الصبي:

– نعم، لكن الجو جميل في كل سنة في يوم عيد ميلادي!

تقدمت المرأة الشابة حينذاك نحو الشجرة التي يقف تحتها "چيل" و"كيڤين" يتحدثان وهما جالسان على كراسي الحديقة. وبحركة رقيقة وضعت "مارتينا" يدها على كتف "كيڤين" وحينذاك انصرف "چيل" في صمت.

سألته وهي تبتسم:

– آمل ألا تكون قد نسيت لباس البحر بالفندق.

صاح "كيڤين" وهو يبتسم:

– بلى، نسيته.

– عليك إذن أن ترتدي شورت قديما خاصا بجدّي. إنه بالدولاب داخل المنزل.

– أوافق لكن بشرط واحد: أوعديني بأن نعود للاستحمام بمفردنا.

– حسنا، أعدك... لكن كفّ عن مزاحك هذا وكلامك المثير حيث إنني أريد من يقف إلى جانب المائدة.

نهض "كيڤين"، واصطحب "مارتينا" التي أخرجت الأطفال من الحمام، وجففتهم، قبل أن تجلسهم إلى المائدة الكبيرة التي غطتها "سيبيل" بغطاء من الموسلين الأبيض.

كان الغداء مفرحا جداً. كان الطفلان سعيدين وسلّيا المدعوين كثيرا. أسعدت البيتزا والسلطة الكثيرة اللتان أعدتهما "مارتينا"

الجميع.

ولدى وصول تورتة عيد الميلاد ارتفعت صيحات الإعجاب. أعد "تومي" مع مساعدة "سيبيل" قصيدة صغيرة ألقاها بلا تردد ليشكر المدعوين الذين أتوا إلى حفل عيد ميلاده. التهم الجميع الجاتوه قبل النهوض من على المائدة.

جرى الطفلان ليلقيا بنفسيهما في الماء، ابتعد "ستانلي" و"أنجيلا" إلى الغابة، بينما جلست "سيبيل" تحت شجرة بعيدة إلى حد ما لتستمتع برواية بوليسية ترغب في إنهائها.

أمسك "كيڤين" "مارتينا" من يدها ودون أن ينبهها ألقى بنفسه معها في وسط البركة. توقف الطفلان لحظة عن لعبهما وهما دهشان من هذه الضجة.

صاحت "مارتينا" فيهما قائلة:

– "تومي"، "چيف"، لا يوجد شيء! إنها لعبة اخترعها "كيڤين"!

ثم قالت وهي توجه نظرها نحو الذي يجذبها إليه مثلما يشد سمك القرش فريسته تحت الماء.

همس "كيڤين":

– إنك أجمل من أي وقت سابق.

سألته "مارتينا" بنبرة جادة:

– أريد أن أطرح عليك سؤالا فضوليا.

– كلي آذان صاغية.

– هل كنت ستستدعيني إلى "نيويورك" من أجل اجتماع مجلس الإدارة إذا كنت قد عرفت أن الاسم الأخير من "أ. س. هاربر" يخفي وراءه امرأة؟

أدار "كيڤين" عينيه كما لو كان يتجنب السؤال.

www.elromancia.com

– أجب عليّ، من المهم بالنسبة لي أن أعرف إذا كنت عدوا للمرأة أم لا!

– يا لهذه الكلمات الكبيرة! ما يمكنني أن أجيبك به دون الخوف من الخطأ، هو أنه إذا كان لديّ أدنى فكرة عمن تكونين لم أكن أجعلك تأتين إلى "نيويورك" فقط، ولكن كنت استأجرت طائرة خاصة للتعرف عليك بسرعة!

تعجبت "مارتينا" وهي تبتسم:

– وسيلة جميلة لعدم الرد على هذا السؤال المحير! لكن طالما نتحدث عن هذا اليوم الذي حضرت فيه اجتماع مجلس إدارة مؤسسة "توليفر"، فإنني أود الاعتراف لك بأن "هوبز" دخل وتوجه نحوي، وكنت مقتنعة أنه "كيڤين توليفر"! إذ كنت قد توقعت مقابلة مهندس استشاري في الأربعين من عمره وخداه مشيبان، فإنني تخيلتك رئيسا مكرشا وطاعنا في السن.

– وهل كنت تعتقدين أنك توافقين على مداعبات رئيس طاعن في السن؟

– بالتأكيد لا، يا أحمق!

ألقت "مارتينا" نفسها بين ذراعيه.

همس "كيڤين":

– تلومينني على أنني أسرق قبلات منك باستمرار. لكنك تعلمين أنني أرغب في شيء آخر... الآن.

– نسيت وعدي لك قبل الغداء بتجنب نظرات المدعوين.

– لم أنس شيئا. أردت فقط أن أذكرك بوعدك. متى سنعود معا للاستحمام هنا؟

– وعد الحر دين عليه. سنعود قريبا، أعدك بذلك.

احتضنها "كيڤين" وأحست "مارتينا" أن السماء الزرقاء، والأشجار والأطفال الذين يصرخون على الجانب الآخر من الحمام اختفوا جميعا. لم تكن ترى غير الرجل الذي يمسكها بين ذراعيه.

سألها "كيڤين":

– ألم تخبريني أبداً أن هناك شيئا بينك وبين "ستانلي" في أثناء فرقة "سميث"؟

أجابته "مارتينا" وهي تبتسم:

– غيور أنت؟ . أعرف "ستانلي" منذ وقت طويل لكنه مجرد رفيق.

– ألم يحدث بينكما أي شيء منذ أن عرفتك؟

– كلا، لم يحدث لكن أرجوك، لا تتكلم في هذا. انظر من يقترب منا؟

كانت "أنچيلا" تسبح بالفعل نحوهما وهي ترسم ابتسامة عريضة على شفتيها، وقالت:

– هالو!

سأل "كيڤين" بصوت منخفض:

– ماذا تريد منا؟

– تقصد منك. – التحدث إليك.

كررت الفتاة الفاتنة مرة أخرى:

– هالو! آمل ألا أكون قد أزعجتكما! تراهنت مع "ستانلي" الذي لا يريد أن يصدق أنه يمكنني السباحة إلى هنا دون أن أتوقف.

وقفت "أنچيلا" خارج الماء حينذاك وأشارت من بعيد بإشارة إلى "ستانلي" الجالس على الطرف الآخر من الحمام.

قالت وهي تستدير نحو "مارتينا":

www.elromancia.com

– كنت أفكر في ليلة الأمس. كنت رائعة! تغنين بشكل مدهش وأفضل من "سترايسند"! أؤكد لك هذا! لكن سامحيني أعتقد أنك لم تقدميني...

ثم أضافت وهي تنظر بعينين نهمتين إلى "كيڤين":

– كل ما أعرفه عنك هو أنك تعمل بـ"نيويورك".

– اسمي "كيڤين"، "كيڤين توليڤر".

– يا له من اسم جميل! وماذا تعمل بـ"نيويورك" يا "كيڤين"؟

– أعمل في مجال المعلومات والحاسبات.

استطردت "أنچيلا" وهي تقترب كثيرا من محدثها وتتظاهر بعمل تمرينات إطالة في الماء:

– مدهش! أتيت إلى "دنڤر" إذن لبيع حاسب آلي لـ "مارتينا"؟

وجدت "مارتينا" صعوبة في الاحتفاظ بحديثها وهي تسمع هذا الرد من "أنچيلا".

أجاب "كيڤين" باعتدال:

– شيء من هذا القبيل. أحاول أن أبيع لـ "مارتينا" كل شيء جديد!

في هذه اللحظة قرص برقة ذراع "مارتينا" ليثبت لها أنه قرر اللهو قليلا مع المسكينة "أنچيلا".

سألته هذه الأخيرة:

– وتعتقد أنك ستنجح؟ هل "مارتينا" ستشتري في النهاية؟

استطرد "كيڤين" وهو لم يتخل عن جديته:

– أوه! نعم! لدينا بعض التفاصيل سنسويها، لكن يجب أن نصل إلى اتفاق سريع.

– على أية حال يا سيد "توليڤر" لتعرف أنه يهمني أيضا أن أمتلك

حاسبا بالمنزل! يمكنني أن أدخل به كل أصناف الأشياء النافعة، ووصفات المطبخ، ومصاريفي، وحسابي في البنك! ألا تصدق؟ أوه، لكنني أرى "ستانلي" يشير إليّ، ساذهب في الحال!

عادت "أنچيلا" مثل جنيّة البحر إلى الماء. نظر "كيڤين" و"مارتينا" إلى بعضهما لحظة قصيرة وانفجرا ضاحكين.

تعجب "كيڤين":

– إنها غير معقولة، هذه البنت! أتعرفينها جيداً؟

– كلا، حقيقة. إنها ليست معروفة في البلد بذكائها الحاد. لكنني لا أعتقد أن هذا قد يوصلها إلى مثل هذه الدرجة. يا للمصيبة الفاجعة! على أية حال يمكنني أن أقول لك بالحكم عليها من نظراتها إليك أنها تراك مناسبا لذوقها بالفعل.

قال "كيڤين" بمكر:

– آه، لاحظت هذا أنت أيضا! عجبا، عجبا!

نادى "تومي" "مارتينا" في ذلك الوقت وهو يجري على حافة حمام السباحة ويشير إليهما.

– لابدّ أن "تومي" انتظر بما فيه الكفاية هداياه. لقد وعدته أن توزيعها سيكون في أثناء شرب الشاي وأرى "سيبيل" قد أحضرت الصينية.

تسلقت "مارتينا" السلم الحجري الذي سمح لها بالقفز خارج الماء.

تجمع كل المدعوين مرة أخرى ليقدّموا إلى "تومي" هداياه.

قال "چيف" ملاحظا:

– لقد نسينا أن نغني.

قالت "سيبيل":

www.elromancia.com

– إنك محق! لابد أن نغني الآن أغنية عيد الميلاد.

قال "تومي":

– لا، لا أريد أن نغني.

لما سألته "مارتينا" عن أسباب مقته للغناء أجابها الصبي:

– لأننا نرغب في البكاء دائما عندما نغني!

ابتسمت "مارتينا" وأخذته بين ذراعيها، بينما قدم المدعوون هداياهم إلى الطفل الذي أطلق صيحات السعادة وهو يفتح كل علبة. قدمت "سيبيل" إليه حذاء رياضيا، واختار "جيل" صورة مركب شراعي في الماء. لكن أكثر الهدايا اللافتة للنظر كانت هدية "كيڤين": الزي الرسمي لفريق الكرة الأمريكي بـ"شيكاغو".

صاح "تومي" وهو يمزق الغلاف:

– مدهش! لكن هناك لفة أخرى في العلبة؟

سأل "كيڤين":

– ألا يوجد أي شيء مكتوب عليها؟

استطرد "تومي":

– بلى، إنها من أجلك يا "چيف". اسمك مدون أعلاها.

لمع وجه "چيف" لما رأى نفس الزي المقدم إلى أخيه وقال:

– لكنه ليس عيد ميلادي.

لم يستطع الصبيان منع نفسيهما من ارتداء زيهما الجديد في الحال.

قاربت فترة ما بعد الظهيرة على الانتهاء. انصرف "ستانلي" و"أنچيلا" وكذلك آل "أندرسون". بدأ "كيڤين" و"سيبيل" ترتيب المقاعد وكل ما حملوه لهذه النزهة: عندما أسدلت الشمس أستارها عاد الجميع إلى المنزل، واهتمت "مارتينا" بحمام "چيف" و"تومي"

اللذين أسرعا إلى السرير حيث كانا متعبين جداً بعد هذا اليوم الشيق والممتع.

تواجدت "مارتينا"، و"كيڤين"، و"سيبيل"، حول مائدة المطبخ: إنهم ليسوا جوعى، واكتفوا بقليل من الجبن الأبيض الطازج الذي كانت "سيبيل" قد اشترته من مزرعة قريبة.

تقدم "كيڤين" نحو الرواق الخارجي حيث كانت "مارتينا" جالسة في الظلام. كانت الحرارة لا تزال شديدة. جلس بجانبها دون أن ينطق بأي كلمة وداعب يدها برقة:

– ألا ترين أن الجو حار؟ أرغب في تذكيرك بوعدك بأن نتواجد بمفردنا في حمام السباحة. ما رأيك في حمام بمنتصف الليل؟

كان "كيڤين" و"مارتينا" يمشيان بعد لحظات، وكل منهما يمسك بيد الآخر في الطريق المؤدي إلى خلف المنزل. مشيا في الليل دون أن ينطقا أي كلمة ومتأملين قمة الجبال التي حرقتها الشمس الغائبة التي لم يتبق منها إلا الأشعة البسيطة. بمجرد وصولهما إلى منتصف الطريق ترك "كيڤين" يد "مارتينا"، وجرى في اتجاه البركة.

صرخت "مارتينا":

– أين أنت؟ أكره البقاء بمفردي في الظلام.

– سأختفي وراء شيء ما ويجب أن تعثري عليّ!

صرخت "مارتينا" مرة أخرى:

– "كيڤين"! عد.

لكن كان الوقت قد فات واختفى "كيڤين" في الظلام. أسرعت المرأة خطواتها لتصل بسرعة إلى البركة. عندما وصلت إلى هناك ألقت نظرة حولها، لكنها لم تر أي شيء يدل على وجود "كيڤين". لم يكسر حاجز صمت الليل سوى غناء بعض صراصير الليل الواقفة

www.elromancia.com

على أغصان أشجار الصنوبر.

– "كيڤين"؟ أين أنت؟ أرجوك رد عليّ! لا أرى هذا الأمر مضحكا!

لما لم يصل إلى مسامعها أي ردّ مشت "مارتينا" حتى حافة حمام السباحة، التي بدت الأحجار البيضاء فيها فوسفورية في الظلام. كانت ستجتاز السلم الحجري الذي تنزل درجاته إلى الماء، عندما أطلقت صرخة: كان هناك شبح ممدد أمامها على سطح الماء. إنه "كيڤين". كان ممددا ونظراته هائمة نحو النجوم ودعاها إلى الاستحمام معه.

همست قائلة:

– "كيڤين"، لم أكن أتصور أنني سأقابل رجلا يفهمني تماما. لم أكن سعيدة أبداً مع رجل لكن...

قال "كيڤين":

– انظري إليّ "مارتينا". أفهم ما تشعرين به. أنا أيضا لم أحس بهذا الإحساس مع أحد غيرك. وهذا يحدث فجاة! لابد أن تثقي بالحياة. سنجد حلا، إنني متأكد من ذلك! لابد أن تكوني صبوراً. هيا، انظري إلى النجوم!

استمتع الاثنان بهذه اللحظات السعيدة حتى همست "مارتينا":

– "كيڤين"، أريد أن أقول لك... أعتقد أنني أحبك.

قال "كيڤين" بسعادة بالغة:

– أنا أيضا أحبك وأريد ألا تكوني قلقة. أثق دائما طوال حياتي بغريزتي. هذا المساء أخبرتني غريزتي أننا سنجد وسيلة، وسيلة لأن نبقى معا. لابد أن تثقي بي.

تركت "مارتينا" وجهها على كتف "كيڤين" الذي احتضنها بقوة كما لو كان يريد منعها من الشك به وإقناعها بضرورة أن تؤمن بمستقبلهما معا.

الفصل الثامن

نام الاثنان في وقت متأخر في هذه الليلة. عندما فتح "كيڤين" عينيه عند الفجر ألقى نظرته الأولى على "مارتينا" التي كانت لاتزال غارقة في سبات عميق. نهض رجل الأعمال، وارتدى ملابسه دون أن يثير أي ضجة خشية أن يوقظها. كان يريد الرحيل هكذا دون أن يقول شيئا، كما لو كان يخشى هذا الوداع. بادر بجمع حاجاته حتى لا يتأخر على المطار حيث تنتظره الطائرة إلى "نيويورك".

غادر "كيڤين" الغرفة وهو يلقي نظرة أخيرة على "مارتينا"، ودخل المطبخ حيث صب لنفسه كاسا كبيرة من اللبن. أعاد الزجاجة إلى الثلاجة عندما ظهرت "مارتينا" على عتبة الباب. كانت ترتدي مئزراً طويلا أبيض.

سألته بصوت يغلب النعاس عليه:

– "كيڤين" أتريد الرحيل دون أن تودعني؟

– لا مطلقا لا! أريد الرحيل دون وداعك، حتى يمكنني العودة بسرعة بقدر المستطاع، وكأننا لم نبعد عن بعضنا أبداً.

ابتسمت "مارتينا" وقبلت جبهة "كيڤين".

استطرد "كيڤين":

– تعرفين كم أفضل البقاء معك هنا! لكن كان يجب أن أستقل طائرة مساء أمس! لديّ يوم مشحون بعد الإجازة الطويلة التي منحتها لنفسي في "كولورادو"! لحسن الحظ أن أول موعد مع "چون"، وهو صديق قديم سيتفهم تأخري عليه، خصوصا لو أخبرته من أين أتيت. لكنني أعتقد أنك تعرفينه: لقد قال لي إنك اشتغلت من قبل في شركته. أتتذكرين "چون مانينجز"...؟

www.elromancia.com

أصبح وجه "مارتينا" متحيرا للحظات ثم تمتمت وهي تحاول التملص:

– نعم، نعم أعرفه. عملت لديه منذ فترة طويلة.

ألقى "كيڤين" نظرة على ساعة المطبخ.

– لابد أن أرحل يا حبي. سأتصل بك. على أية حال سنلتقي عما قريب.

بعد قبلة طويلة، ورقيقة، صعد "كيڤين" إلى سيارته التي انطلقت مسرعة. ظلت "مارتينا" واقفة على عتبة المنزل، والحزن يعتريها حتى اختفت السيارة الفورد من على الطريق، الذي لم يتبق به إلا سحابة التراب.

منذ ساعة تقريبا يعمل "كيڤين" مع "چون ماننينجز" في مشروع المؤسسة التي تشغلهما منذ عدة أشهر. كان "چون" صديقا لوالد "كيڤين" الذي درس معه في جامعة "برينستون". عندما أخذ "توليفر چونيور" مكان والده في إدارة الشركة، واصل تعاونه مع مؤسسة "چون ماننينجز" بشكل طبيعي.

على الرغم من اختلاف عمريهما إلا أن علاقتهما تخطت حدود العمل. إذا لم يلتقيا كثيرا في غير أوقات العمل، فإنهما يتصلان ببعضهما البعض ليعرف أي منهما أخبار الآخر أو للاستماع إلى نصيحته. كان "چون" من ذكر اسم "مارتينا هاربر":

– لم تقل لي شيئا عن المقابلة التي وجب عليك أن تجريها مع الآنسة "هاربر"؟

– إنك محق، لم تقبل أبداً أن تأتي للعيش بـ"نيويورك" لتعمل لديّ.

كان واضحا أن "كيڤين" يتردّد في التحدث إلى "چون" عما جرى

أثناء عطلة الأسبوع.

استطرد "ماننينجز" وابتسامة مقتضبة على شفتيه:

– خسارة! أعتقد أنني لم أقدرها التقدير المناسب عندما كانت تعمل لديّ. إنني متيقن أنها خير سند في إنشاء مصانعك الجديدة... أعتقد أنها تبنت طفلين، أليس كذلك؟

حملق "كيڤين" لحظة إلى وجه "چون" الذي بدا متضايقا وسأل نفسه: "لماذا يطرح عليّ كل هذه الأسئلة؟ أجاب صديقه بتملُّص، فعلى الرغم من ذلك يعتبر "چون" رجلا كريما يمكن أن يهتم جيدا بمصير إحدى موظفاته السابقات... تم تحديد موعد جديد في الأسبوع المقبل: كان الصديقان ينويان توضيح تفاصيل المشروع الذي يهتمان به. أسرع "كيڤين" بالعودة إلى مكتبه حتى يتمكن من الاتصال بـ"مارتينا".

قال "كيڤين" وهو يفتح باب المكتب:

– إلى اللقاء يا "چون"! حاول أن تنظر إلى هذا الملف قبل الأسبوع المقبل. على أية حال لست أنا من تأخر...

– لا تقلق، سأشتغل به في عطلة الأسبوع إذا لزم الأمر، لكنني سأكون متأهبا في الميعاد! إلى اللقاء إذن!

لم يستطع "كيڤين" أن يمنع نفسه من الإسراع وهو في سبيله إلى مقعد رئيس مؤسسة "توليفر": كان يلزمه بشدة أن يسمع صوت تلك المرأة التي لم تفارق خياله منذ أسبوع.

*****

أمرت "مارتينا":

– اهدأ يا "تومي". لقد ربحت المباراة وأنا سعيدة لذلك لكن ليس

هذا داعيا لأن تأكل ويداك متسختان!

اصطحبت المرأة "جيف" و"تومي" للاحتفال بانتصارهما إلى مطعم "سميث"، وكان يجب أن تحد من هذا الحماس الذي جعلهما ينسيان الجلوس إلى المائدة بشكل مهذب. علاوة على أنها كانت عصبية: لقد عاد "كيڤين" إلى "نيويورك" منذ خمسة أيام، وهذا الغياب أحزنها كثيرا. كانت صورة "كيڤين" تمر بذهنها كل لحظة وصوته وحركاته.

انكبّ الصبيان على المثلجات التي أحضرتها خادمة المطعم، ووقتها تذكرت "مارتينا" حوارها في الصباح نفسه مع "چيل أندرسون". قال "چيل" لها: "كيڤين" شخص عظيم. لابد أن تنسي القصص القديمة وتذهبي إلى "نيويورك" للعيش معه"! كانت هذه الكلمات تعاود ذاكرة "مارتينا" باستمرار: وإذا كان "چيل" محقا في كلامه، وإذا تعلقت الذكريات السيئة بالنسبة لها بالحياة في "نيويورك"، فهل يمكن أن تتلاشى بفضل "كيڤين" والحب الذي يكنه لها؟

منذ أن اختفت سيارة "كيڤين" في ذلك الصباح لم تكن "مارتينا" تعيش إلا على سماع رنين التليفون.

لما كانت مستغرقة في حلمها لم تعر "مارتينا" اهتماما كبيرا بـ"جيف" و"تومي" اللذين تحدثا عن مباراة بعد الظهر. إنها لم تلحظ أيضا "ستانلي" الذي اقترب منها.

سأل بنبرة ساخرة:

– هل من أخبار عن غرامك الجديد القادم من "نيويورك"؟

أجابت "مارتينا" بنبرة جافة:

– نتحدث بصفة منتظمة عبر التليفون، كل شيء على ما يرام. شكرا!

– أينوي المجيء إلى "دنڤر"؟ مرة أو مرتين في السنة؟

– "ستانلي"، هذه القصة لا تعنيك حقيقة! كن لطيفا إذن ودعنا ننهي عشاءنا في هدوء!

قال "ستانلي" متذمرا:

– حسنا... اتفقنا... لكنك لست مضطرة للتحدث بهذه النبرة!

ابتعد الرجل، ودسّت "مارتينا" ملعقتها بعصبية في كأسها المثلج الذي ساح نصفه.

عادت "مارتينا" إلى منزلها بعد العشاء بصحبة الطفلين اللذين أسرعا إلى سريرهما بعد الحمام. كانت "سيبيل" جالسة على كرسيها أمام التلفاز: كان هذا يوم مسلسلها المفضل ولن يستطيع أي شيء أن يمنعها عنه حتى لو هب إعصار على "الوادي السعيد". اغتنمت "مارتينا" هذا لكي تنام مبكرا مع رواية اشترتها دون أن يكون لديها الوقت للبدء فيها. قرأت بالكاد الصفحات الثلاث الأولى حتى رنّ التليفون. لقد أفزعها جرس التليفون الطويل الآتي من مسافة بعيدة.

– "مارتينا"...

– إنه أنا. كنت أحاول القراءة لكن يصعب عليّ التركيز. لا أعرف السبب، كنت متأكدة أنك ستتصل بي. أترى، لا يوجد غيرك من يمتلك هذه الغريزة المدهشة!

– "مارتينا" إنني سعيد جداً لأسمع هذا منك... لكن التليفون لم يعد يكفيني. لابد أن أراك وأمسكك بين ذراعيّ... لم أعد يمكنني العمل، أفكر بك باستمرار! "هوبز" لاحظ ذلك، وبذكائه سألني عن أخبارك، ولاحظت في نظراته وميضا يقول الكثير! لقد فهم كل شيء.

– كل شيء؟ ماذا يعني هذا؟

www.elromancia.com

– لقد فهم أنني عاشق إنسانة اسمها "مارتينا" ، وأن هذا لا يمت بصلة بعلاقاتي السابقة.

سالته "مارتينا" بسخرية:

– أتعتقد أن "هوبز" محلل نفسي؟

– لا تسخري مني! من الأولى أن تقولي لي أشياء رقيقة!

لم تستطع المرأة مقاومة توسل "كيڤين".

– تعلم يا "كيڤين" أنني أحبك. لا يمكنني أبداً نسيان ما عشناه معا في تلك الأمسية...

تحدثا فترة طويلة وهما يحاولان نسيان آلاف الكيلومترات التي تفصل بينهما. كان "كيڤين" سعيدا جداً حتى إنه لا يتمنى وضع السماعة: كان يريد أن تضع "مارتينا" السماعة على أذنها طوال الليل.

قال "كيڤين" محدداً:

– يمكنني هكذا سماع نفسك وأنت نائمة. أريد أن أشعر بالبقاء إلى جوارك طوال الليل...

صاحت "مارتينا":

– إنك مجنون! ستضيع ثروتك على التليفون. تعلم أنني أحتاج إلى ثماني ساعات من النوم على الأقل!

– لا تهم الفلوس، أريد أن تكوني قريبة مني.

تبادلا معسول الكلام فترة طويلة ثم أنهيا المكالمة وهما يتواعدان على الاتصال في صباح اليوم التالي.

استدعى جراح "چيف" "مارتينا" في يوم الأربعاء التالي: لقد اتصل بالبروفيسور "كانال" بـ"نيويورك" الذي وافق على إجراء العملية في أسرع وقت ممكن. اتفق الطبيبان على أن الحالة لا تتضمن

أي مضاعفات خطيرة: يمكن علاج الساق المريضة بنجاح. لابد أن يدخل "چيف" المستشفى بـ"نيويورك" لإجراء عملية زرع العظام التي ستقتطع من فخذه. أوضحت "مارتينا" إلى "چيف" عما قاله الطبيب لها في التليفون: استمع الطفل بعناية إلى كلام "مارتينا" وأعلن استعداده لإجراء العملية.

– أتعتقدين أنه يمكنني اللعب بالكرة مثل "تومي" إذا نجحت العملية؟

– نعم، البروفيسور "كانال" جراح مشهور في أمريكا كلها، وإنني متأكدة من أنه يمكنه إعادة ساقك إلى وضعها الطبيعي.

نام الطفلان، وتكلمت "سيبيل" و"مارتينا" مرة أخرى عن "چيف" وراي الأطباء.

قالت "سيبيل" فجأة بطريقتها الفظة:

– أريد أن أثير نقطة أخرى: لقد لاحظتك في الأيام الأخيرة: لم تعودي نفس...

دهشت "مارتينا" التي فهمت مقصد "سيبيل":

– ماذا تقصدين؟

– نعم، إنك تغيّرت أحس دائما أنك في مكان آخر... لقد فقدت صوابك منذ أن قابلت "كيڤين"! عندما حدثتني عنه لأول وهلة عند عودتك من "نيويورك"، شعرت بشيء غريب في الطريقة التي تصفينه بها. قلت لنفسي: "لابد أن في الأمر سرا". لكن عندما رحل ورأيتكما معا فهمت أن هذا السيد "توليفر" لم يأت إلى "دنڤر" لتوظيف مهندسة! لست مخطئة فيما قلته...

خيم الصمت على صالون المنزل الصغير. طقطق حطب المدفأة مما جعله يكسر حاجز الصمت. بعيدا عن كونه ثقيلا، فقد كان هذا

www.elromancia.com

الصمت بالنسبة لـ"مارتينا" مفعما بالحب الذي كانت "سيبيل" تظهره لها دائما. تلك المرأة التي كانت رفيقة جدّها كانت بمثابة بئر أسرارها، لكن ينبعث من شخصها حب كبير أحسّت به "مارتينا" في تلك الليلة.

استطردت "سيبيل":

– لم تقولي شيئا، لكن أعرف انك تفهمينني. تعرفين أنني لا أحب التحدث كثيرا، أو إعطاء دروس. لقد رأيت الكثير من ذلك بنفسي طوال حياتي وأعلم أن النصائح لا تفيد. لكنني مع ذلك أرغب في أن أقول لك: لا تدعي صور الماضي توقفك. "نيويورك" بالنسبة لك هي الماضي. زواجك الفاشل بـ"توني"، وحكاياتك المعقدة مع أبيك... بالتأكيد نحن سعداء هنا. أنا وأنت و"چيف" و"تومي" نحب هذا المنزل وهذا الوادي. لكنهما ألفا الحياة بـ"مانهاتن" أيضا! سابقى أنا هنا مع الكلب، وسأنتظركم في الإجازات! أو ارحلي للعيش بمفردك في "نيويورك" في أوقاتك الأولى، وسيلحق بك الصغيران في العام الدراسي القادم. إنك شابة يا "مارتينا"، لابد أن تفكري في نفسك أيضا! في حياتك ومهنتك!

همهمت "مارتينا" التي صعب عليها فهم نتائج هذا التغير الرئيسي في حياتها:

– نعم، ربما تكونين محقة. لكن هذه المقابلة مع "كيڤين" مرت بسرعة جدا...

أشعر أنه تطفل على حياتي، وانقلبت الأمور رأسا على عقب...

سألت "سيبيل" وابتسامة رقيقة على شفتيها:

– أليس هذا ما نسميه الحب في الروايات؟

اقتربت "مارتينا" منها وقبّلت خديها.

– شكرا على محادثتك لي كما فعلت. صحيح أنني – منذ أن قابلت "كيڤين" – أركز على فكرة ألا يتغّير أي شيء في حياتي. لابد أن أعيد التفكير في كل هذا بطريقة مختلفة وبهدوء أيضا. سأذهب للنوم وسأنظر في الأمر بوضوح في صباح الغد، إنني متيقّنة من ذلك!

*****

عندما وصل "كيڤين" في هذا الصباح إلى مكتبه توقفت نظراته على الأريكة الموجودة في الحجرة، وتذكر يوم مقابلته مع "مارتينا" عندما فوجئ بها نائمة عليها.

أحس فجأة بحاجته إلى أن يحدثها. كان لابد أن يقول لها في الحال إنه استعد منذ عدة أيام. لكنه عدل عن رأيه. قال في قرارة نفسه: لا، قرار مهم هكذا لابد أن ينطقه أمامها". سيستقل طائرة بعد الظهر، ويطلب من "چيل" أن ينتظره بالمطار، والتواجد في "الوادي السعيد" في بداية السهرة. كان "كيڤين" قد تخيل المشهد قبلها: "مارتينا" تظهر على سلم المنزل وهو ينزل من سيارته وتلقي بنفسها بين ذراعيه وحينذاك ينظر في عينيها ويخبرها:

– "مارتينا"، لقد أتيت لأخبرك أن مقر مؤسسة "توليڤر" سينقل إلى "دنڤر" اعتبارا من سبتمبر القادم!

سعد "كيڤين" بتخيل رد فعل المرأة عندما رن جرس التليفون في مكتبه.

– سيد "توليڤر"؟ سيد "توليڤر"؟ هل كل شيء على ما يرام؟

تلعثم "كيڤين" المستغرق في حلمه:

– نعم، نعم يا "صوفي". ماذا حدث؟

www.elromancia.com

– مكالمة من "دنفر" على الخط المباشر. أحاول أن أعطيها لسيادتك منذ عدة دقائق لكنك لم تجب...

صاح "كيڤين" وهو يمسك السماعة:

– سأتلقاها فورا!

سألت "مارتينا" بصوت رقيق:

– من يتحدث؟ أريد التحدث إلى الرئيس "توليڤر"...

أجابها "كيڤين" وهو يحاول الاحتفاظ بجديته:

– الرئيس "توليڤر" في مؤتمر الآن. لكن يمكنني ان أعطيك "كيڤين" كاتم أسراره الوفي..

– حسنا جداً. أريد أن أخبره أنني سأصل إلى مطار كينيدي في رحلة الأحد مساء التي ستصل "نيويورك" في الثامنة والنصف ...

ظلت "مارتينا" صامتة لحظة.

– لا، لنكن جادين يا "كيڤين". سآتي إلى "نيويورك" مع "چيف": قرر الأطباء إجراء العملية...

– كيف حال "چيف"؟ أليس قلقا؟

– كلا، إنه رائع! لقد تحلى بالشجاعة والفلسفة وأبدى حنكة مخيفة أحيانا.

– وماذا ستفعلين بـ"تومي"؟

– سيبقى في الوادي مع "سيبيل". علاوة على أنها ليست الإجازة ولا أريد أن يضيع دروسه فترة طويلة.

– إنك محقة. اسمعي، سأكون منتظرك بالسيارة في المطار وسأصطحبكما إلى المستشفى. في أي ساعة يجب أن يدخله "چيف"؟

– بعد الظهر ولكنني حصلت على تصريح بالدخول ساعة وصول الطائرة. لابد أن يخضع لبعض الفحوص قبل إجراء العملية يوم الخميس... بالمناسبة أريد أن أطلب منك خدمة: أيمكنك أن تحجز لي غرفة في فندق مناسب وقريب من المستشفى؟

– لا تشغلي بالك باي شيء. ولا تحزني أيضا فإنني متيقن أن الأمور ستسير على خير ما يرام. أتعلمين أنني استعلمت عن البروفيسور "كانال". اتصلت بصديق قديم وهو طبيب أعصاب، وطمأنني أن "كانال" طبيب بارز في مجال طب تجبير الأطفال...

– هذه رقّة منك أن تخبرني بذلك. كنت أفضل المجيء إلى "نيويورك" في ظروف أخرى... إنني أفكر فيك يا "كيڤين". أنا...

– لا تقولي شيئا... صورتك لا تفارق خيالي أبداً. أحبك يا "مارتينا".

كان لابد أن يغلق "كيڤين" الخط بعد لحظات حيث أخبرته سكرتيرته أن لديه مكالمة من اليابان. أعطته "مارتينا" حينذاك موعدا يوم الأحد القادم في المطار، ولم يرد "كيڤين" أن يتحدث عن مشروع استقراره بـ"دنفر": "يمكنني الانتظار حتى يوم الأحد وساخبرها عندما نكون وجها لوجه..."

*****

في صباح يوم الأحد استيقظ "كيڤين" في السابعة والنصف كما لو كان لديه عمل. ركض كثيرا في "سنترال پارك"، ثم اخذ دشا ساخنا، وبدأ يجهز شقته، لقد عزم على ألا يحجز أي فندق لـ"مارتينا" وأن تقيم بشقته. إنها ليست قريبة – بالتأكيد – من

www.elromancia.com

المستشفى، لكن "كيڤين" رتب لكل شيء: إنه سيضع سيارته وسائقه تحت أمر المرأة الشابة التي يمكنها الذهاب لرؤية "چيف" عندما يحلو لها. قضى "كيڤين" عدة ساعات في تجهيز شقته الواسعة، ورتب الملابس الكثيرة الملقاة هنا وهناك، وألقى لفافات الجرائد في جوانب كل غرفة، وطلب زهوراً من عند كبرى محلات الزهور بـ"نيويورك".

*****

كان "كيڤين" يغدو ويروح في الثامنة وعشرين دقيقة في نهاية ممر مطار "كيندي" حيث أعلن عن رحلة "دنڤر". كان فارغ الصبر مثلما كان في أول موعد غرامي له. عندما بدأ المسافرون الخروج زادت ضربات قلبه بقوة.

كان "چيف" و"مارتينا" آخر من اجتازا الباب الزجاجي، وفهم "كيڤين" من ابتسامة "مارتينا" العريضة أنها تعمدت ذلك لتضايقه. عندما اقتربت منه لم يستطع "كيڤين" مقاومة الرغبة في أن يضمها إلى صدره ويقبلها. كانت "مارتينا" تضع عطراً خفيفاً يذكرها بـ"الوادي السعيد": كان عبارة عن مزيج من الزهور والسَّرخس يناسبها تماما.

قال "چيف" الذي رأى أن العناق قد طال:

– هالو يا "كيڤين":

رد "كيڤين" وهو يضع يده على كتف الصبي بحنان:

– تحياتي يا "چيف". لابد أن تنتهي قصة المستشفى هذه بسرعة. تعلم أن هناك أشياء كثيرة تراها في "نيويورك" ومباريات الكرة مثلا!

سأل "چيف" الذي أشرق وجهه من السعادة:

– صحيح، هل ستصطحبني؟

توجه الثلاثة حينذاك نحو السيارة التي كانت تنتظرهم أمام باب الخروج لصالة المطار. كانت المسافة إلى المستشفى هادئة إلى حد ما. كان "چيف" ممددا بمفرده على المقعد الخلفي. كانت "مارتينا" ممسكة بيد "كيڤين"، ووجدت صعوبة في إخفاء قلقها حينما اقتربوا من المستشفى الذي كان يوجد في أطراف المدينة. كانت المباني الحديثة موزعة على منتزه واسع يستطيع المرضى التجوال فيه طوال اليوم.

بينما كانت "مارتينا" تتمم إجراءات دخول المستشفى كان "كيڤين" يمزح مع "چيف" الذي لم يبد متأثرا. اصطحبهم أحد العاملين إلى الغرفة التي يتقاسمها الصبي مع مريض آخر في الثامنة أو العاشرة من عمره ويدعى "ستيف". قام حوار بين الطفلين على الفور، وهذا ما طمأن "مارتينا": "چيف" لن يكون بمفرده عندما تتركه.

دخل البروفيسور "كانال" في هذه اللحظة. قدّم نفسه بطريقة محببة، وتكلم كثيرا مع "چيف". كان يعامله كشخص بالغ، وفسّر له سبب العملية وطريقتها والفحوص الأولية.

طرح الطبيب عدة أسئلة تارة على "چيف" وتارة أخرى على "مارتينا"، وسجل بعناية الإجابات في الملف الطبي الذي أحضره.

سأل "كيڤين" حينما كان الطبيب يتأهب للانصراف:

– كم من الوقت تنوين ملازمة "چيف"؟

– ليس أقل من أسبوعين. هناك فترة نقاهة تتضمن العلاج بالمنزل والعلاج بالتدليك. في السنة الأولى كنت أتمنى أن يرى "چيف" طبيبه بـ"دنڤر" كل شهر، وأن أتمكن من فحصه مرتين في السنة تقريبا...

www.elromancia.com

ثم أضافت وهي تنظر إلى الطبيب وقد تأكدت أن "چيف" في أيد أمينة :

– شكرا جزيلا لرقتك يا دكتور.

حانت ساعة الرحيل. كان "چيف" أقل المتأثرين من الجميع. قبل "مارتينا" وهو يضحك ويقول:

– لا تشغلي بالك! إنني متأكد أن كل شيء سيكون على ما يرام. وغدا لن يفعلوا بي شيئا سوى الفحوص. هل ستاتين لرؤيتي؟

– طبعا يا عزيزي، الزيارات تبدأ بعد الظهر وسأمر عليك لنقضيها معاً...

– أوه! لست في حاجة للبقاء معي فترة طويلة إذا كنت ترغبين في التنزه أو البقاء مع "كيڤين"!

صاح "كيڤين" وهو يضحك:

– لكن الغد هو يوم الاثنين. لابد أن أذهب للعمل. ثم إن "مارتينا" أتت إلى "نيويورك" من أجلك.

احتضنت "مارتينا" "چيف" طويلا وهي تطلب منه وعداً بالا يقرأ كثيرا ويقضي ليلة طيبة حتى يكون في كامل لياقته في اليوم التالي.

*****

وما إن أغلق "كيڤين" باب شقته حتى ألقت "مارتينا" نفسها بين ذراعيه.

لم تستطع أن تخفي قلقها بشأن "چيف"، لكنها وجدت في وجود "كيڤين" تعزية كبيرة.

كان هناك بالقرب منها وأحست بالدفء بجانبه. رفعت "مارتينا" رأسها وابتسمت. ألقت نظرة دائرية على الشقة التي لا تعرفها.

– أحب هذا المكان. إنه يشبهك.

– لم أكن أعرف أنه يشبهني حتى هذا الصباح عندما كان مغطى بالجوارب المتسخة والجرائد. لكن كفي عن المزاح. الوقت متأخر، هل أنت جائعة؟

برطمت "مارتينا" برطمة بسيطة.

– لا يهم. يجب أن نأكل. كل شيء معدا!

أمسك "كيڤين" يد المرأة وجذبها نحو المطبخ الذي كان مزينا بأكمله بالرخام.

قال "كيڤين" حينذاك:

– بالمناسبة، لقد نسيت أن أعترف لك اعترافا خطيرا.

جلست المرأة إلى المائدة وفكرت في مزحة جديدة وبدأت تضحك.

– لا تضحكي، الأمر جاد: لقد نسيت تماما أن أحجز لك غرفة بالفندق وحينذاك فكرت...

أضافت "مارتينا" وهي تتظاهر بالبراءة:

– ... فكرت في أنه يمكنني النوم هنا، أليس كذلك؟

– خمنت لك! بالتأكيد كنت ستسأليني عن ضرورة قربك من المستشفى: لا تقلقي، لقد فكرت في ذلك. يمكنني الاستغناء عن سيارتي وسائق المؤسسة. سيكون تحت أمرك أثناء إقامتك بـ"نيويورك".

– "كيڤين"، إنك رائع! لكن يمكنني أن أستقل تاكسي.

– أرى أنك لم تعودي تقطنين "نيويورك" منذ فترة طويلة. لقد أصبحت التاكسيات موضة قديمة. أغلبهم لا يتحدثون الإنجليزية، ولا يعرفون الشوارع جيداً. لا تقلقي على السيارة: سائقي يدعى

www.elromancia.com

"توم"، إنه لطيف جداً وسيعتني بك. لكن إلى المائدة الآن.

جلس الاثنان إلى المائدة وتذوقا العشاء الذي أعده طاهي المنزل: "سيمون" والسلطة والفواكه المتنوعة. نسيت "مارتينا" قلقها بشأن "چيف" لدى جلوسها أمام "كيڤين". عندما غادرا غرفة الطعام ذهبا للجلوس في الصالون حيث كان الجو مبهجا. أراد "كيڤين" إشعال نار المدفأة وجلس بالقرب من "مارتينا"، ثم احتضنها وأمطرها بالقبلات. ابتسمت ونظرت إلى عينيه قائلة:

– منذ فترة طويلة لم أعرف طعم الحب هكذا.

– لن تصدقيني إذا قلت لك إنني كنت أوشك أن أعترف لك بنفس الاعتراف. الاعتراف بالحب.

صمت لحظة ثم أضاف حينما لمح اضطراب "مارتينا".

– هل أنت على ما يرام؟

صاحت وهي تنفجر في الضحك:

– نعم، نعم، لكنني أحسست بالجوع.

– الجوع. لكننا بالكاد قد انتهينا من العشاء.

– نعم لكن الحب جعلني أشعر بالجوع...

ضحكا كثيرا، ودخلت "مارتينا" الحمام، بينما أخرج "كيڤين" محتويات الثلاجة.

ارتدت "مارتينا" مئزرا سميكا وجدته في غرفة "كيڤين". كانت المرأة مدهشة عندما جلست أمام "كيڤين" إلى مائدة المطبخ العامرة بشتى أنواع الطعام.

تعجبت "مارتينا" وهي تشمّر كمي المئزر الواسع عليها:

– لقد أعددت طعاما يكفي لوليمة كبيرة. صحيح أنني أشعر بجوع شديد، لكن لا يمكنني أبدا تناول كل هذا الطعام!

اكتفى "كيڤين" ببعض الفواكه في حين التهمت "مارتينا" اللحم المدخن قبل أن تنقض على جزء كبير من كعكة التوت.

اتخذ الحوار سبيله بشكل جيد، وبدأ "كيڤين" يمازح "مارتينا" بخصوص هذه الشهية.

سألها بنبرة ساخرة:

– أتعرفين بم تفكرني هذه الشهية المفاجئة؟

أجابت "مارتينا" وهي تضحك:

– أعتقد أنه يمكنني التخمين، لكنني أفضل أن أتركك تتحدث.

– إنني كنت أمزح فقط... ما رأيك لو أنجبنا طفلا يشبهك؟ سامر على تموين الطعام مرتين في الأسبوع الواحد لكي يملأ الثلاجة. كل رغباتك يمكن إشباعها هكذا. ما رأيك في هذا؟

استعادت "مارتينا" جديتها ثم همست:

– أحلم دائما بطفل، لكن لا أعرف ماذا أقول لك. لقد تعارفنا منذ وقت بسيط... ويعيش كل منا بعيداً عن الآخر بآلاف الكيلومترات...

ثم أضافت وهي تخفض عينيها:

– أحبك يا "كيڤين"، لكن يجب أن تترك لنا الوقت الكافي.

نهض "كيڤين" وطبع قبلة على خدها ثم همس:

– تعالي، لم أرك الشقة بعد.

كانت شقة "كيڤين" فسيحة وجميلة. كانت جدرانها البيضاء شبه عارية. بعض اللوحات التي تزينها كانت فاخرة جداً. كانت هناك نقوش قديمة تمثل ديكور الردهة، والصالون، في حين كانت هناك سجادة فارسية مفروشة أمام مائدة حجرة الطعام. في حجرة "كيڤين" كانت هناك عدة أشياء فنية تمنح هذه الغرفة منظراً رائعا. تأخرت

www.elromancia.com

"مارتينا" بعض الشيء في الحمام: كانت هناك عدة قوارير من الروائح موضوعة على لوح من المرمر. لاحظت المرأة أن جميعها - عدا واحدة- مغطى بطبقة خفيفة من التراب الذي يؤكد أنها لم تستخدم منذ فترة طويلة.

سألت المرأة المتحيرة:

- "كيفين"؟ غريبة هذه العطور المختلفة التي تحتفظ بها أعلى الحوض. أتستخدمها جميعا؟

أجاب "كيفين" وهو يحاول التملص:

- لا، الأمر كله يطول شرحه!

لما كان الفضول يسيطر عليها أرادت "مارتينا" أن تعرف المزيد:

- قل لي! هل تجمع قوارير العطور أم ماذا؟

- لا، أبداً. أتريدين حقا أن تعرفي؟ حسنا، كل عطر مرتبط بفترة من حياتي، يمكن أن تكون امرأة أو وظيفة جديدة، أو حب جديد، أو تعرفت على صديق، أو صديقة. التجديد يدفعني غالباً إلى تغيير العطر، لكن هذا لم يجعلني أستغني نهائيا عن زجاجتي القديمة التي تظل هنا، فالحمّام خير شاهد على فترة ماضية.

- أتقصد أنا...

- نعم. لقد فهمت كل شيء. الزجاجة الجديدة لهذا العطر الفرنسي الجديد الذي ترينه اشتريتها من أجلك..

بسرعة البرق اختفت "مارتينا" من الصالون حيث كانت جالسة لتتحدث إلى "كيفين" وجرت مسرعة إلى الحمام. بعد عدة لحظات عادت وقد عطرت ظهر يدها حيث تتطاير رائحة العطر.

صاحت وهي تبتسم:

- أرى أنك اخترته بشكل جيد! أحب عطر مقابلتنا، وإذا وافقت

على أن أتقاسمه معك.

قال "كيفين" وهو يأخذ "مارتينا" بين ذراعيه:

- مدهش! سنذهب غداً إلى محل العطور، ونشتري أكبر زجاجة موجودة هناك! أما الآن فلا تفكري في شيء ولنغتنم هذه الفرصة السانحة. سنحل المشاكل فيما بعد. تعالي!

وكان اللقاء العاطفي بينهما قويا ومدهشا...

ألقت "مارتينا" نظرة سريعة على المنبه الذي تدوّي دقاته على المنضدة المجاورة للسرير: كان يشير إلى الثالثة وعشر دقائق. نظرت المرأة إلى "كيفين" الذي كان ممداً إلى جوارها وعيناه مغمضتان. حدثت نفسها قائلة وهي تعتدل قليلا على الوسادة: "إنه وسيم أيضا أثناء نومه... لكن "كيفين" لم يكن نائماً. نظر إليها ثم ضمها إليه وراحا في سبات عميق على صوت الموسيقى الناعمة لأنشودة الحب.

الفصل التاسع

نهض "كيفين" و"مارتينا" مبكرا في صباح اليوم التالي لكي يذهبا إلى المستشفى بسرعة. أنهى "چيف" فطوره عندما دخل غرفته، أضاءت ابتسامة خفيفة وجه الصغير عندما رأى "كيفين" و"مارتينا" يقتربان من سريره.

كان "چيف" عاقلا دائما، لكن كانت هناك علامة لقلقه لمجرد اقتراب اليوم المحدد للعملية.

سألت "مارتينا" الطفل وهي تطبع قبلة على جبهته:

- كيف حالك هذا الصباح؟

- بخير. أنتظر الدكتور "كانال" الذي يجب أن يأتي ليأخذ عينة

www.elromancia.com

من عظام الورك. أخبرني أحدهم أن هذا لن يكون ممتعا مثل الفحوص...

تمتمت "مارتينا":

– مسكين يا "چيف". لابد أن تتحلى بالإيمان... إنني متأكدة أن البروفيسور "كانال" سيبذل قصارى جهده حتى لا يجعلك تشعر بتعب شديد.

ابتسم "چيف" وأشار برأسه. دخل الطبيب في هذه اللحظة وألقى التحية على "چيف" وهو يمرر يده في شعره وحيا "مارتينا" و"كيڤين". طلب الطبيب منهما الانتظار في الرواق حتى ينتهي، أتت ممرضة لتساعده، وأغلقت الباب خلف "مارتينا" التي ألقت بنفسها بين ذراعي "كيڤين". كانت قلقة جدا من جراء فكرة معاناة "چيف" على بعد عدة أمتار منها، ثم إن هذا المستشفى يذكرها بذكريات مشؤومة: لقد عاد إلى ذاكرتها الوقت الذي قضته في العناية بـ"چيف" و"تومي" بعد جراحهما في حادثة السيارة التي مات فيه والداهما.

كانت فترة صعبة في حياتها، حيث ماتت فيها أختها "كارولين"، ثم الرحيل والفراق عن زوجها الأول "تونيّ". كان لابد أن تواجه وتقاوم هذه المحن لأن "چيف" و"تومي" يحتاجان إليها...

همس "كيڤين" في أذن المرأة:

– استرخي يا "مارتينا". إنني متيقن أن الأمور ستتحسن...

– لا أعرف كيف أشكرك.

– تشكريني، على ماذا؟

– أشكرك على وجودك بجانبي طوال هذه الساعات العصيبة. تعلم أنني كنت وحيدة أثناء حادثة "كارولين" وزوجها... كنت

أتساءل كيف أتصرف لأواجه هذه الصدمة! واليوم أتواجد في هذا المستشفى مع "چيف"...

إنك موجود معي ولا أشعر بانني وحيدة. ثم إنني أحب طريقتك في التحدث عن "چيف". إنه يحبك بجنون، أتعلم هذا؟

ابتسم "كيڤين":

– يمكنني ألا أصبح مشغولا هذا الصباح لكي أكون معك أكبر قدر ممكن. لكن للأسف لا يمكنني التخلص من كل مواعيدي. لابد أن أذهب إلى المكتب اليوم وغداً. سابعث إليك السيارة والسائق.

– شكرا يا "كيڤين". من المدهش أن تدبر مواعيدك لتتواجد إلى جانبي.

– نعم، لديّ موعد مع "چون ماننينجز". أعلم أنه أتى من "فلوريدا" خصيصا لمقابلتي. لا أريد إلغاء موعده.

شحب وجه "مارتينا" لدى سماع اسم "چون ماننينجز".

– تعرفين "چون" جيداً. ألم تعملي لديه في الماضي؟ إنه من حدثني عنك للمرة الأولى وامتدح تقاريرك.

همست "مارتينا" بصوت منخفض:

– يوما ما لابد أن أحدثك عن "چون ماننينجز". إنها قصة طويلة.. لا الوقت ولا المكان مناسبان لذلك... هيا، اذهب حتى لا تتأخر!

ترك "كيڤين" "مارتينا" على مضض. ما السر الذي يربط بينها وبين صديقه القديم "چون ماننينجز"؟ حدّث "كيڤين" نفسه وهو يخرج من المستشفى. كانت تبدو مضطربة وهي تتحدث عنه!

*****

www.elromancia.com

بعد مرور ساعات عاد "كيڤين" إلى المستشفى، وصعد السلم الموصل إلى الغرفة. عندما فتح الباب، كانت "مارتينا" توشك أن تلعب الكوتشينة مع "چيف" ورفيقه في الغرفة "ستيف".

صاح "كيڤين" لما رأى المرأة تبتسم:

– من الفائز؟

أجاب "ستيف" بفخر:

– إنه أنا!

سأل "چيف" وهو يلقي نظرة قلقة على "كيڤين":

– أين كنت؟

– كنت في مكتبي! لقد اشتغلت بسرعة حتى أتمكن من العودة إلى صحبتكم.

قالت "مارتينا":

– "چيف" يمكنك أن تكون أكثر رقة. "كيڤين" يجتهد ليساعدنا في "نيويورك"...

توقف "چيف" و"ستيف" و"مارتينا" عن اللعب، وأقاموا حواراً لطيفا مع "كيڤين" الذي أضحك الصبيين.

– لا تتحركا. نسيت شيئا بالسيارة وساعود حالا!

شعر "چيف" و"ستيف" بالحيرة من اللهجة المسرحية التي اتخذها "كيڤين" ونظر كل منهما إلى الآخر بفضول، حينما دوّت خطوات "كيڤين" في رواق المستشفى. عاد "كيڤين" محملا بعلب كثيرة من الكرتون.

قال وهو يمد يده بهدية كبيرة مزينة بخيط من الحرير الأحمر:

– هذه لـ"ستيف" وتلك لـ"چيف".

كان "ستيف" أول من أطلق صرخته:

– أووه! حاسب محمول.

أجابه "چيف":

– رائع! يمكننا الآن أن نوصلهما، وننظم مباريات مدهشة... "كيڤين" هذا مدهش!

همست "مارتينا" التي فزعت من هذه الهدايا الفاخرة:

– هذا كثير، يا لك من مجنون!

– لا، أبدا! أنسيت أن مؤسسة "توليڤر" تنتج مثل هذه المكونات التي تستخدم أيضا مع الحواسب المحمولة، اتصلت بعميل وسلمهما إليّ مبكرا. لكن هذا سر: لا يجب خداع الأطفال بان عيد رأس السنة يأتي في شهر مارس (آذار).

قال "چيف":

– "مارتينا"! أريد أن أحكي هذا لـ"تومي".

– آه، نعم على أية حال لقد وعدت "سيبيل" بان اتصل بها هذا المساء.

رفع "چيف" السماعة، وطلب بنفسه رقم المنزل بـ"الوادي السعيد". استمرت المحادثة ما يقرب من ربع ساعة. وصف "چيف" لعبته الجديدة. أخذت "سيبيل" بدورها طرف الحديث وسألت "چيف" عن صحته. أنهت "مارتينا" المكالمة وهي تطلب من "تومي" أن يتعقل حتى لا يتعب "سيبيل".

بمجرد إغلاق التليفون، انفتح باب الغرفة. ظهر "هوبز" على عتبة الباب.

تعجب "چيف" وهو يدير رأسه:

– تحياتي يا "هوبز"!

أجاب الرجل:

www.elromancia.com

– تحياتي يا "چيف".

تذمرت "مارتينا" وهي تنظر إلى الصبي:

– يمكنك على الأقل مناداته بالسيد "هوبز".

استطرد الرجل العجوز وهو يقترب:

– لا، لا. إنه أنا من طلبت منه أن يناديني بـ"هوبز" فهذا يسعدني! اسمي هو "أرشيبالد" لكنه غير شائع. ولكي أتجنب باي ثمن كلمة يا "سيد" وجدت أن "هوبز" ليس سيئا!

وجه "چيف" إلى "مارتينا" ابتسامة عريضة يظهر مغزاها: "ترين أنه هو من سمح لي بذلك"!

انفتح باب الغرفة مرة أخرى واقترب البروفيسور "كانال" من سرير "چيف".

أوضح الطبيب لهذا الأخير أن كل الفحوص التي خضع لها منذ وصوله إلى المستشفى أعطت نتائج طيبة: العملية إذن – كما هو متوقع – محدد لها صباح اليوم التالي. فهم كل كلمة تخرج من فم الطبيب. أوضحت عينا الصبي المتفتحتان الثقة المطلقة بخبرة الجراح الذي أوجز في كلمات بسيطة العملية والمراحل المختلفة لزرع العظام في الساق المصابة لـ"چيف".

بعد لحظات استدار البروفيسور "كانال" نحو "مارتينا" و"كيڤين" وأجاب عن بضعة أسئلة، ثم قال وهو يتجه ناحية الباب:

– هيا يا "چيف"، ساتركك الآن. ستسير الأمور على خير ما يرام، إنني متيقن من هذا. لا تشغل بالك كثيرا واقض ليلة هادئة!

استأذن "هوبز". كان لديه بعض الملفات ليراجعها في مكتبه قبل أن يعود إلى منزله.

سأله "چيف" وهو يغمز له:

– ستأتي مرة أخرى يا "هوبز"؟

أجاب "هوبز" الذي اعتاد أن ينادي الناس جميعهم بأسمائهم كاملة.

– بالتأكيد يا "چيفري"! إلى اللقاء باكراً.

ثم أغلق باب الغرفة وراءه.

*****

مضى بقية اليوم في التجهيز للعملية. أتت بعض الممرضات، ودكتور التخدير إلى سرير "چيف" ليقيس ضغطه الشرياني، لأخذ عينة دم منه، أو ليناولوه مهدئا بالليل.

قالت "مارتينا" وهي ترى جفون الطفل تغمض في هدوء:

– سنتركك لتنام. ستقضي ليلة هادئة وستسير الأمور على خير ما يرام! الدكتور "كانال" أخبرك بهذا!

غادرت "مارتينا" و"كيڤين" الغرفة على مضض، وتاهبا لركوب المصعد عندما لمحت المرأة في لوحة الممرضات المصباح الصغير لغرفة "چيف" يطقطق:

قالت "مارتينا" في الحال:

– ساذهب إليه. لابد أنه يحتاج إلى شيء.

قال "كيڤين":

– سانتظرك هنا.

عادت "مارتينا" بعد لحظات وهي تبتسم وتقول بنبرة غامضة:

– "چيف" يريد أن يكلمك!

– آه، حسنا، لكن بخصوص أي شيء؟

– لم يرد أن يخبرني بشيء! إنه يريد أن يفضي بسره إليك.

www.elromancia.com

اجتاز "كيڤين" بسرعة عدّة أمتار كانت تبعده عن الغرفة.

– ماذا هنالك يا "چيف؟

– أ... أ...

كان الطفل قد تناول المهدئات.

– أتعرف يا "كيڤين" أن "مارتينا" أخبرتنا أنا و"تومي" انها تحبك كثيرا، وقالت إنك طيب وكريم وصديقها، وإنها تثق بك...

همس "كيڤين" وهو يضع يده على جبهة "چيف":

– لكنني صديقك أنت أيضا.

– هذا صحيح بما أنك صديقي فإنني أريد أن أسألك...

بذل "چيف" مجهودا لكي يبقى مستيقظا.

– إنني منصت إليك وسأبذل قصارى جهدي لتنفيذ أمنيتك...

تنفس "چيف" بعمق كما لو كان يستجمع قواه ليشكو ما يلي:

– لا أريد أن تحبس "روث بلاكبيرن" – هذه العجوز الشريرة التي قابلتها في مطعم "سميث" – كلبي "بيل" لان...

تردد "چيف" في مواصلة ما يشبه الاعتراف تقريبا.

– لأنه ليس من حطم زهور البجونيا للآنسة "بلاكبيرن". إنه أنا ورفيقي "جاري" من فعل ذلك وخربشنا الأرض بأيدينا لكي تعتقد أن حيوانا أتلف الزهور، لكنني لم أكن أظن أن هذه العجوز ستتهم كلبي،

همس "كيڤين" الذي صعب عليه أن يحتفظ بجديته:

– أفهم ذلك. لكن لماذا لم تبح بذلك لـ "مارتينا"؟ كان يمكنها أن تتحدث إلى الآنسة "بلاكبيرن"! هل تخشى العقاب؟

– لا، ليس الأمر هكذا! لكنني أشعر أنني أتعبها عندما أعترف لها بحماقة جديدة!

أفضل ألا أقول شيئا وأندم على هذا الآن: ساكون حزينا للغاية إذا اقنعت "روث بلاكبيرن" العمدة أن يضع الكلب "بيل" في السجن وألا أجده لدى عودتي إلى "الوادي السعيد"...

ابتسم "كيڤين" ثم قال بنبرة مطمئنة:

– لا تشغل بالك أيها الطيب! سأتدبر حالي حتى لا يحدث له أي شيء أثناء غيابك. وعندما تعود إلى "دنفر" أعتقد أن أفضل شيء تفعله هو أن تذهب بنفسك إلى الآنسة "بلاكبيرن وتوضح لها الأمر. يمكنك أيضا أن تدفع لها ثمن البجونيا الجديدة وستنسى هذه القصة بسرعة.

سأل "چيف" بنبرة قلقة:

– قل لي يا "كيڤين" أتعتقد أنها غالية؟

– لا، لا تقلق. سأعطيك مالا كافيا لشرائها..

– و "مارتينا" لن تعرف شيئا عن ذلك؟

– لن أخبرها بأي شيء. أعدك.

قال "چيف" وقد تبسط وجهه:

– إنك لطيف جداً.

– هيا، لابد أن تنام الآن... ويمكنك الاعتماد عليّ: لن يمس أحد كلبك!

أغمض "چيف" عينيه وراح في سبات على الفور.

*****

بعد لحظات خرج "كيڤين" من المستشفى بصحبة "مارتينا" التي أمطرته بالأسئلة:

– هيا، اعترف! ماذا قال لك؟

www.elromancia.com

– لا شيء مهم. حكايات بين الرجال فقط. على أية حال أقسمت بأن ألتزم الصمت.

ابتسم "كيڤين" وتخلت "مارتينا" عن محاولاتها.

قالت وهي تركب السيارة:

– أشعر بجوع شديد.

– أنا أيضا. أقترح عليك أن نمر على منزلي لنغيّر ملابسنا، ونأخذ كاسا ثم أصطحبك للعشاء في مطعم ستحبينه جدا.

– اتفقنا.

*****

كان "كيڤين" جالسا على حافة السرير وهو يستمع إلى "مارتينا" وهي تدندن تحت الدش. تذكر ما قالته له أثناء تناولهما للغداء بـ"دنفر":

منذ أن كنت صغيرة جدا اعتدت أن أدندن تحت الدش. إنه جدّي من علمني هذا.

خرجت "مارتينا" مع "كيڤين" الذي كان قد حجز في أحد أفضل المطاعم الفرنسية بـ"نيويورك"، لكن عندما دخل إلى صالة الطعام، و"مارتينا" ممسكة بذراعه دهش رئيس الخدم لدى رؤيته:

– متأسف يا سيد "توليڤر" لكننا اعتقدنا أنك لن تأتي... لقد حجزت مكانين في الساعة التاسعة، والآن نحن في العاشرة والنصف، ومن ثم أخلينا مائدتك! يمكنكما الذهاب إلى البار عدة دقائق وسأحاول تدبر هذا الأمر!

طلب "كيڤين" و "مارتينا" شرابا. ثم قالت "مارتينا" بصوت منخفض وهي تداعب يد "كيڤين":

– لا تجرؤ أن تذكر له سبب تأخرنا.

– لا، لكن يمكنني أن أقول له: "كان لابد أن أصلح دش شقتي فهذا لا يمكن الانتظار عليه، ونادتني جنية وتوسلت إليّ أن أساعدها، ولم أستطع المقاومة! لقد كانت جذابة جداً وهي في الحمام!..

قاطعته "مارتينا":

– وعند سماعك تقول هذا بأنك خضعت لابتزاز شنيع...

وفي هذه اللحظة اقترب رئيس الخدم منهما واصطحبهما إلى مائدة جلسا إليها، وتفحصا قائمة الطعام.

وفجأة رفعت "مارتينا" عينيها، واكفهر وجهها. لم يكن لدى "كيڤين" – الذي كان يدير ظهره إلى صالة الطعام – الوقت لأن يقول كلمة فقد كانت "مارتينا" متشنجة. أدار رأسه حينذاك، ولمح "چون ماننينجز" الذي وصل وتتابط ذراعه امرأة في الخمسين من عمرها. بمجرد أن لمح "كيڤين" اعتذر "چون" لرفيقته، واقترب من المائدة حيث كانت "مارتينا" شاحبة أكثر من ذي قبل.

قال "ماننينجز" بصوت مرح:

– مساء الخير يا "كيڤين". لم أتصور أن أراك هنا!

– كلا، لابد من التغيير. "چون" أقدم لك...؟

صاحت "مارتينا" بنبرة فظة:

– هذا غير مجد! نحن نعرف بعضنا قبل ذلك.

في هذه اللحظة أدار "چون ماننينجز" عينيه نحو "مارتينا" التي لم يستطع حتى الآن أن يرى سوى ظهرها. توترت قسمات "ماننينجز" في الحال كما لو كان قد أحدق الخطر به فجأة:

بدا أن الصمت الذي خيم حول المائدة عدة ثوان سيستمر كثيرا.

www.elromancia.com

لكن "مارتينا" قاطعته. "مارتينا" التي نهضت بسرعة، وقلبت كأسها سهواً. جرت نحو باب صالة الطعام. لم يستطع "كيڤين" أن يفعل شيئا حيث كانت قد اختفت وهي تغلق الباب الزجاجي بقوة حتى إن الضجة المفتعلة من وراء ذلك أسكتت كل من كان يتناول العشاء.

قال رجل عجوز انتهى من تناول الحلوى وهو جالس أمام سيدة ضخمة:

- بهذه الطريقة!

استدار الرجل العجوز حينذاك ليلمح الجاني الذي أثار هذه الضجة. لكنه لم يميز سوى طرف فستاني "مارتينا".

همس وهو يوجه حديثه إلى جارته بالمائدة:

- امرأة، أمر طبيعي! ألم تستطع إغلاق الباب بالشكل المناسب؟ غير معقول!

نهض "كيڤين" مسرعا ونادى:

- "مارتينا"!

دوى تعجبه في صالة الطعام الصامتة الآن باكملها. جرى في أعقاب المرأة ودوّى صوت الباب الزجاجي مرة أخرى مما أثار حفيظة الرجل العجوز من جديد.

*****

كان الهواء البارد في الشارع يتخبط بوجه "كيڤين". كان الجو ممطرا والشارع مظلما. كان يمشي بسرعة نحو ضوء فاترينة محل المجوهرات الذي كان علامة بيضاء على الرصيف. عندما كان أمام واجهة المحل سمع "كيڤين" صوت غلق باب. أدار رأسه ولمح تاكسي ينطلق بسرعة على بعد عشرة أمتار منه. "إنها هي. إنني متيقن أنها هي".

وبخطى بطيئة عاد "كيڤين" إلى المطعم، وطلب معطفه من حجرة الثياب، ووضع على ذراعه معطف "مارتينا".

همس إلى الفتاة التي ابتسمت له من خلف منضدتها الطويلة.

- متاسف. متاسف جداً.

ثم أضاف وهو يضع مائة دولار في يدها:

- لابد أن أرحل!

الفصل العاشر

توقع "كيڤين" أن يجد "مارتينا" أمام باب شقته. شعر بقلق بالغ عندما وجد الرواق الموصل إلى شقته فارغا. وبحركة عنيفة وضع المفتاح في المزلاج ودخل. تعجب لما رأى نور الحمام: "لم أفكر في إعطائها المفاتيح. مستحيل أن تكون قد عادت"! آه، لقد نسي أن يطفئ النور من فرط تعجله إلى الذهاب إلى المطعم!

بدأ "كيڤين" الانتظار الطويل. لم يقف في مكان واحد، وأخذ يغدو ويروح بين الصالون وحجرة النوم. "ماذا يمكن أن تفعل؟ أين يمكنها الذهاب في "نيويورك" التي غادرتها منذ سنوات طويلة"؟

حاول "كيڤين" أن يفهم كيف أن وصول "چون" - الذي كانت "مارتينا" تعمل لديه منذ سنوات عديدة - قد أثار رد فعل عنيفا من جانب المرأة. ما السر الغامض الذي يوجد بين صديقه القديم و "مارتينا"؟ لم يجد "كيڤين" رداً على تساؤلاته وتزايد قلقه بمرور الوقت.

في الحادية عشرة والنصف أمسك "كيڤين" التليفون وفكر في الاتصال بالشرطة. لكنه عدل عن رأيه: ماذا سيقول؟ إن صديقته

www.elromancia.com

التي كانت تتعشى معه تركت المائدة واختفت بالليل وأنه ينتظرها منذ ساعتين بلا جدوى؟

هذا عبث.

*****

مشى "كيڤين" حتى المطبخ وابتلع كوبا كبيراً من الماء المثلج. إنه لم ياكل شيئا منذ المساء ومعدته تؤلمه. لكنه مع ذلك أحس بعدم قدرته على ابتلاع أي شيء.

صاح بصوت عال:

– "مانينجز"! سأتصل بـ"چون"! يمكنه أن يفسر لي الأمر بنفسه!

طلب الرقم الشخصي لصديقه. وبعد ثلاث رنات ردّ عليه "الأنسرماشين". دون أن يعير اهتماما لما يقوله صوت "چون" المسجل، وضع السماعة بغضب. بالتأكيد كل شيء يتوحّد ضده. قال محدثا نفسه وهو يتذكر المشهد: "بدت "مارتينا" مضطربة جدا عندما نهضت. بدت قادرة على فعل أي شيء، على..."

وضع "كيڤين" نهاية لأفكاره الغامضة. لن يفيد الغضب في شيء. من الأفضل أن ينتظر: "مارتينا" ليس لها مكان آخر تذهب إليه، وستعود في نهاية المطاف إلى شقته في أي ساعة من الليل.

تعجب "كيڤين" حينذاك وهو يحدّث نفسه ليتخلص من قلقه:

– وصلت إليها! المستشفى! لابد أنها ذهبت إلى "چيف"! كيف لم أفكر في هذا من وقت مبكر؟

أفرغ "كيڤين" ثلاثة دواليب بالكامل بحثا عن دليل التليفونات. لقد فكر في الاتصال بالاستعلامات، لكنه يعرف بخبرته أن عاملات التليفون

يمكن أن يتركن التليفون يرن في هذه الساعة ساعات طويلة قبل أن يرفعن السماعة. حدّث نفسه قائلا: "يجدر بي أن أبحث بنفسي!

"ست "أندرو"... "ست أندرو بابتيست شيرش"... مستشفى "ست أندرو". وضع "كيڤين" أصبع يده اليسرى على رقم التليفون وطلب التحدث إلى ممرضة الدور الذي يرقد به "چيف".

– مساء الخير هل يمكنني أن أسألك إذا كانت "مارتينا هاربر" موجودة في حجرة... "چيف هاربر"، إنه ابن أختها.

– لكنها الثانية عشرة إلا ربعا الآن يا سيدي وانتهت مواعيد الزيارة منذ فترة طويلة!

تلعثم "كيڤين":

– أنا... أعلم هذا جيداً. لكنني قلق جدا. يطول شرح الأمر لك...

– صحيح أنني تلقيت اتصالا من السيدة "هاربر" منذ ساعة تقريبا. بدت قلقة وأرادت الاطمئنان على "چيف" وأجبتها أنه ينام بهدوء منذ عدة ساعات لكن من أنت؟

– إنني "كيڤين توليفر"، قريب... صديق لـ"مارتينا هاربر". أخبرتك وقت اتصالها، بمكانها؟

– لا، انتظر! لابد أنها كانت بكابينة لأنني سمعتها تضع قطع معدنية في الجهاز.

همس "كيڤين" وهو يضع السماعة:

– شكرا يا سيدتي. شكرا جزيلا!

*****

كان حدس "كيڤين" صحيحا: لقد فكرت "مارتينا" في المستشفى، لكنها تعرف أنهم لن يدعوها تدخل في مثل هذه الساعة

www.elromancia.com

من الليل. دخل "كيڤين" كل حجرات الشقة. كان عجزه يبدو له غير محتمل. كان يحتاج إلى أن يتصرف أو أن يفعل شيئا. لقد فكر في أخذ سيارته ويبحث عن "مارتينا" في الشوارع لكنه عدل عن رأيه. لا توجد أدنى فرصة للعثور على المرأة في شوارع "نيويورك". ومن ثم فمن الأفضل البقاء بمنزله حتى يستقبلها عندما تعود لأنه واثق تماما بأنها ستعود!

في حوالي الثانية صباحا سمع "كيڤين" ضجة خافتة على باب شقته. قفز مسرعا إلى الباب وأدار المقبض. كانت "مارتينا" واقفة أمامه. كانت دائما شاحبة، وبدا أنها بكت حتى يقال إنها فارغة من أي إحساس ومن أي ملامح.

قال "كيڤين" وهو يأخذها بين ذراعيه:

– ها قد عدت... كنت قلقا للغاية! اهدئي! تعالي!

أدخلها إلى الشقة وأغلق الباب:

– لم تأكلي شيئا؟ سأعد لك أي شيء.

ظلت "مارتينا" صامتة وهي تمشي – مثل السائر في أثناء نومه – إلى المطبخ.

أدرك "كيڤين" بغريزته اضطراب المرأة، وأحس أنه من غير المجدي أن يطرح عليها أسئلة. سخن الأطباق في صمت، واكتفى بوضع يده على كتف "مارتينا" التي أغمضت عينيها حينذاك كما لو كانت تشير إلى أن هذا يريحها تماما.

عندما قرب "كيڤين" طبق الأرز من مكان جلوسها لمح أن الدموع تنساب على خديّ المرأة. كانت تبكي في صمت ربما من الخجل حتى تتجنب أي انفجار.

جثا "كيڤين" على ركبتيه بجانبها وقال:

– لابد أن تتحدثي يا عزيزتي. تبكين لأن هذا يثقل عليك حمله ولم تعودي تتحملينه. كلميني وستتحسن الأمور بعدها!

أغمضت "مارتينا" عينيها بلطف:

سألها "كيڤين" ليساعدها:

– تعرفين "چون" منذ فترة، أليس كذلك؟ تعرفينه قبل أن تعملي لديه؟

– أبي، إنه أبي..

كان صوت المرأة حزينا. عضّ "كيڤين" شفته السفلى وتذكر ما قالته له "مارتينا" بخصوص هذا الشأن: بعد طلاقها اعترفت له المرأة أنها رفضت استعادة لقبها كفتاة شابة وتمديداً لقب أبيها. كان لابد إذن أن يكون النزاع بينهما كبيراً.

– أتذكر عندما كنت فتاة صغيرة أنه اعتاد أن يأخذني على ركبتيه ويحدثني كأي شخص كبير. كان يوضح لي أموراً لا أفهمها لكن...

كانت "مارتينا" تتحدث مثل الإنسان الآلي. تركزت نظراتها على نافذة المطبخ وبدا أنها تتحدث إلى نفسها.

وما إن ماتت والدتي حتى انقلب كل شيء... لم نعد أنا وأختي نراه تقريبا. وأحيانا كنا نقابله في صالة المنزل الكبير الذي كنا نقطن به حينذاك في "كونكتيكت". كان يلقي علينا التحية كما لو كان يحيي أطفالا غرباء في الحي. أتذكر أول يوم لي عندما دخلت المدرسة. كنت في السادسة من عمري حيث كنت سأذهب إلى المدرسة لأول مرة. اشتروا لي فستانليا جديداً بهذه المناسبة، وكنت أرغب بشدة في أن أريه ذلك الفستانلي قبل الذهاب إلى المدرسة. استيقظت مبكرا جداً حيث أردت أن أكون مستعدة لتناول الفطور

www.elromancia.com

معه على مائدة صالة الطعام الكبيرة. عندما اقتربت منه لألقي عليه التحية قال فقط: نعم، لديك فستانلي جميل لكن لماذا ترتدينه اليوم"؟ لم يكن يعرف قيمة هذا اليوم بالنسبة لي! لم يكن يعرف أنها المدرسة التي سأذهب إليها لأول مرة. لم يفهم حينذاك لماذا انتحبت بشدة وأنا أجلس على المنضدة الكبيرة. ربما يكون هذا اليوم هو الذي فهمت فيه أنني سأقضي حياتي في محاولة التواجد أمام عينيه، وقلب هذا الرجل الذي تحطم بعد موت زوجته التي أحبها أكثر من أي شيء آخر في الدنيا.

مسحت "مارتينا" عينيها بمنشفة المائدة البيضاء التي وضعها "كيڤين" بالقرب من طبقها.

– وبعد ذلك بفترة تزوج أبي ليحاول دون شك محو ذكرى أمنا التي لم يستطع نسيانها. كنت أنا و"كارولين" نعيش حينذاك في منزل بـ"كولورادو" عند جدنا الذي استقبلنا مع "سيبيل" بحرارة شديدة. أخذت المربية معنا الطائرة حتى "دنفر". لم يكن أبي يقول لنا أحيانا أي شيء حتى إلى اللقاء. كان دائما لديه اجتماع أو موعد يلحقه في الدقيقة الأخيرة. على الرغم من فرحة رؤية الوادي مرة أخرى وجدّي إلا أن مع كل رحيل كان ينتابني إحساس بأن والدي تخلص مني ومن "كارولين". في عقليتي كطفلة صغيرة حينذاك أنه أرسلنا إلى "كولورادو" ليتخلص منا وألا يرانا لفترة طويلة...

"لقد وضعنا أخيرا في مدرسة داخلية وتلخصت الحياة بالنسبة لي ولـ"كارولين" في المدرسة طوال العام الدراسي، وفي "كولورادو" أثناء الإجازة في عيد الميلاد وأحيانا في فصل الصيف كان والدي يتصل بالوادي. كان جدّنا يخبرنا أنه يسأل عن أخبارنا وأنه سيحاول المجيء ليرانا. لكن في اللحظة الأخيرة يمنعه أمر مهم. أصبح جدّي

و"سيبيل" – رويدا رويدا – بمثابة والدينا.

بعد عدة سنوات طلق أبي زوجته الثانية ،.لكن هذا لم يغير من الأمر شيئا: إنه لم يأت. لم أرد أن أذكر مدى اشتياقي له. لكن "كارولين" – الأصغر مني والأكثر حساسية مني دون شك – أصابها الاكتئاب. كانت تستيقظ بالليل وتبكي. كانت تعاني وعرفت سبب آلامها وأوعزت ذلك إلى أبي.

كان "كيڤين" يستمع إلى "مارتينا" دون أن ينطق بكلمة واحدة. كان يرغب في أن يأخذها بين ذراعيه لكنه منع نفسه: كانت "مارتينا" تتحدث وتعترف لتتخلص من هذا العبء الثقيل وكان لابد أن تكمل للنهاية.

– ذات عام، أتذكر ذلك جيداً، عندما كنت في التاسعة أو العاشرة من عمري قررت مع "كارولين" أن نكتب له لياتي ويمضي معنا إجازة الصيف. أتذكر أن "سيبيل" اشترت لكل واحدة منا قلما جديداً كتبنا إليه عدة خطابات، خطابات أطفال بالتأكيد لكي نخبره فيها بمدى فرحتنا عندما يأتي إلى المنزل بالوادي. حدثناه عما سنفعله معه طوال هذه الإجازة التي طالت دون أن يأتي.

وفي مساء ذات يوم جاء في سيارة سوداء كبيرة... لا أعرف ماذا حدث، كان هناك نزاع مع جدّي. كنت أنا و"كارولين" صغيرتين على أن نفهم...

وفي المساء أتى ليلقي علينا التحية في سريرنا. كان مثل الغريب الذي مال على وسادتنا ورحل في اليوم التالي، في أول طائرة! ومنذ ذلك اليوم لم يعد والدي إلى المنزل بـ"كولورادو".

"لم نعد نتحدث عنه حتى في الوقت الذي قررت فيه "كارولين" الزواج بالرجل الذي أصبح زوجها. اتصل أبي بي ذات مساء. لقد

استعلم عن "دونالد" وقرر أن هذا الرجل لا يليق بابنته! وحاول أن يقنع "كارولين" أن مدرسا في مدرسة ثانوية لا يمكنه الزواج بواحدة من آل "ماننينجز"! ظهر بعد سنوات غياب طويلة ليجرح "كارولين" – بالتأكيد – التي أحبت "دونالد" ويجرحني أنا أيضا التي كانت يجب أن تتبع وجهة نظره!

حملقت "مارتينا" إلى عيني "كيڤين" قبل أن تواصل حديثها:

– يصعب أن أشرح سبب قبولي لوظيفة في مؤسسة والدي التي يديرها بعد الانتهاء من دراستي... كل هذا غامض إلى حد ما. كرهت أبي لكن أحسست بضرورة أن أثبت له أنه يمكنني النجاح. بدأت من أول السلم وصعدته بالتدريج. كان أبي يناديني آنسة "ماننينجز"... كانت هذه ترضية حقيقية لي عندما علمت من أحد شركائه أنه عينني عضوا في مجلس إدارة المؤسسة: كان هذا كما لو كنت قد نجحت في تنفيذ ما بدأته منذ التحاقي بالعمل وتمكنت حينذاك من الاستقالة.

"كان لـ"كارولين" طفلان: "چيف" ثم "تومي" وفي ذلك الوقت قابلت "توني" زوجي.

توقفت "مارتينا" لحظة ثم سألت بصوت متحير:

– أتريد سماع هذا؟

أجاب "كيڤين" وهو يضع يده على كتف المرأة:

– نعم. احكي لي كل شيء فلن نتحدث عنه فيما بعد...

– كان "توني" أحد المستشارين القضائيين لمكتب يهتم بقضايا أبي.

عندما دعاني للعشاء لأول مرة، وافقت لكن كان به شيء ما – لا أعرفه – أحزنني.

لم أثق بهذا الرجل حقيقة على الرغم من أننا عشنا لحظات جميلة معا...

مر علينا وقت ما وطلب "توني" الزواج بي ذات مساء ووافقت. تزوجت "توني هاربر" بعد ظهر أحد أيام شهر يوليو (تموز) وذهبنا لتمضية شهر العسل في الباهاما. لم أقل أي شيء لوالدي الذي سخط عندما علم بخبر هذا الزواج.

بعد عودتنا من الإجازة بأسبوعين تلقيت مكالمة هاتفية من الشرطة: لقد ماتت "كارولين" وزوجها في سيارة وكان "تومي" و"چيف" بالمستشفى.

أذكر هذه الأيام جيدا، إنها مثل الكابوس الفظيع... كان زوجي "توني" في عمله، اتصلت به لكي يأتي معي إلى المستشفى لكنه أجابني بأنه لا يطيق المستشفيات وأنه سيتصل بوالدي ليعتني بكل شيء... وجدت نفسي حينذاك وحيدة في مواجهة كل هذه المشكلات. الجنازة وعناية الطفلين... لم يظهر والدي إلا يوم الدفن. كان جالسا وسط الكنيسة.

كان يبدو – من على مقعده – بأنه مثل العجوز الذي تأثر بعوامل الزمن بمجرد انتهاء الإجراءات الشرعية للميراث تم تعييني وصية رسمية على "چيف" و"تومي". وفي هذه الأثناء رحل "توني". لم يرد أن يتواجد بمنزله طفلان لا ينتميان إليه. لقد أراحني – حقيقة – رحيله! بمجرد أن خرج الصغيران من المستشفى دبرت كل شيء حتى ننتقل إلى "الوادي السعيد" بسرعة...

نهضت "مارتينا" حينذاك وأسندت وجهها على كتف "كيڤين". أحست المرأة أنها استعادت بعض قوتها حينذاك.

– فهمت جيدا الآن ما كنت أعنيه حينما قلت لك إنني لا أريد

www.elromancia.com

العودة إلى الحياة بـ"نيويورك" ... هذه المدينة - بالنسبة لي - مرتبطة بكل هذه الذكريات الفظيعة. إنني متأسفة على موقفي في هذه الليلة، لكن عندما رأيته يقترب مني لا أعرف ماذا أصابني وكان لابد أن أرحل! أحسست أن شبح الماضي يطاردني...

قال "كيڤين" بنبرة هادئة:

- لا يهمك. كل هذا الآن أصبح ماضيا. لكن لا أعرف لماذا أخفيت طوال هذه الفترة أنك ابنة "چون".

تلعثمت المرأة:

- آه، نعم. ظننت في البداية أنك تريد فقط أن تشغلني في مؤسستك...

لم أر داعيا لأن أعترف لك بهذا إذا لم يخبرك أبي بأي شيء. ثم تطورت الأمور بيننا لكنني لم أنجح أبداً في عدم تذكر شبح الماضي. لم أكن أعرف طبيعة علاقاتك بأبي. لقد نطقت اسمه مرة أو مرتين في حوارك و...

ترددت "مارتينا" لحظة:

- .. حقيقة خشيت أن تكون مرتبطا جداً به. وأن يكون هو الذي حدثك عني بكوني شيئا آخر غير كوني مهندسة استشارية لمشروعك...

- مطلقا! تذكرين يوم أن تقابلنا! لقد توقعت أن أجد في مكتبي رجلا أشيب...

- إنك على حق. كنت مجنونة. لكن هذه القصة مازالت باقية بداخلي حتى إنني لا أستطيع التصرف بطريقة عقلانية!

تبع ذلك صمت طويل، وفكر "كيڤين" في هذا الذي تربطه به أكثر من علاقة عمل: في صديقه "چون مانينجز". ما اللعبة التي لعبها

معه بأن يرشح له بحرارة أعمال "م. س. هاربر"؟ وإذا كان "مانينجز" قد تصور هذه الذريعة ليتقرب من ابنته التي لم يرها منذ عدة سنوات؟

لم يستطع "كيڤين" في هذه الليلة أن يكون رأيه.

همس قائلا في أذن "مارتينا":

- أفهم ما تحسين به. لكن الوقت متأخر هذه الليلة ولابد أن ترتاحي.

ماذا فعلت منذ أن تركت المطعم طوال هذه الساعات التي انتظرتك فيها هنا؟

- لا شيء. استقللت أولا تاكسي، وطلبت منه أن يوصلني إلى "برودواي". وهناك تمشيت وتمشيت بلا هدف أعنيه... ثم أحسست بالبرد، وحينذاك دخلت مقهى صغيرا وتناولت بعض المشروبات به. ثم حدثني رجل لا أعرفه... ثم عدت على قدميّ...

أخفت "مارتينا" وجهها بين يديها. كانت متعبة، كما أن "چيف" ستجرى له العملية في صباح الغد.

همست قائلة:

- لابد أن أنام حتى يمكنني الوصول مبكرا إلى المستشفى صباح الغد...

أجاب "كيڤين" وهو يمرر ذراعه حول عنقها وجذبها إلى الغرفة.

- نعم، سننام.

فكر "كيڤين" في تقديم مسكن لـ "مارتينا" ليسمح لها بالنوم سريعا: لم يتح له الوقت لذلك. بمجرد أن تمددت المرأة على السرير راحت في سبات عميق.

لاحظها "كيڤين" عدة لحظات: كانت قسماتها ذابلة بسبب الحزن

www.elromancia.com

ومع ذلك كانت "مارتينا" لا تزال جميلة.

وفجأة عاد إلى ذاكرته الوجه المقطب لـ "مارتينا" عندما نحت مانينجز" في المطعم. دار كلام المرأة في ذهنه مما أعاقه عن النوم.

قرر "كيڤين" حينذاك نسيان كل هذا حتى اليوم التالي. أغمض عينيه واحتضن المرأة ونام.

*****

عندما فتحت "مارتينا" عينيها في صباح اليوم التالي كان القلق يجتاحها عندما تذكرت أحداث ليلة البارحة. لكنها شعرت بالاطمئنان لدى وجود "كيڤين" إلى جانبها: إنها ليست بمفردها حتى تواجه صعوبات اليوم الذي بدأ.

استدارت المرأة برقة نحو "كيڤين" وقبلته مما جعله يستيقظ:

همست "مارتينا":

– صباح الخير.

– صباح الخير يا عزيزتي. هل أنت بخير الآن؟

– نعم. أريد أن أعتذر لك يا "كيڤين" عما بدر مني ليلة أمس. كنت غبية وتصرفت مثل المراهقة...

– لا تعتذري. أفهم ما لابد أنك أحسست به لدى رؤية والدك في المطعم بعد كل هذه السنين...

ألقت "مارتينا" نظرة سريعة على المنبه ولاحظت أنها الثامنة والنصف.

قالت "مارتينا" وهي تعتدل على الوسادة:

– لابد أن أذهب الآن حتى لا أتأخر على المستشفى... أريد أن أتواجد هناك عندما يخرج "چيف" من غرفة العمليات.

سأل "كيڤين" حينذاك وابتسامة تبدو على شفتيه:

– أليس لدينا الوقت للمداعبة؟

– لا! ليس هذا الصباح... لكنني متأكدة أننا سنتمكن من هذا في المساء...

*****

بعد دقائق خرجت "مارتينا" من الحمام بعد أن فرغت من حمامها. صاح "كيڤين" وهو في المطبخ:

– الفطور جاهز!

تعجبت "مارتينا" وهي تجلس إلى المائدة:

– أنجحت في إعداد كل هذا في وقت قصير! مدهش!

كان "كيڤين" قد عصر البرتقال والجريب فروت وحمص الخبز والكعك. في اللحظة التي دخلت فيها "مارتينا" المطبخ رفع من على الموقد طبق البيض المقلي.

أكل الاثنان بشهية مفتوحة.

قال "كيڤين" وهو يلف منشفته:

– أشعر بجوع شديد! أحداث ليلة البارحة جعلتنا نفوّت وجبة!

– إنك على حق. أنا أيضا أتضوّر جوعا...

لم يجرؤ "كيڤين" أو "مارتينا" على التحدث عن "چون مانينجز". كانت "مارتينا" تفكر في "چيف" قبل أي شيء وفي العملية التي تعتبر الآن من أولوياتها.

كانت "مارتينا" تنتظر أكثر من ساعة في ردهة الانتظار المخصصة لأقارب من تجرى لهم العمليات. كانت الغرفة شبه فارغة: كانت المرأة بها بمفردها مع رجل في الستين من عمره يبدو شبه هادئ.

www.elromancia.com

سأل الرجل العجوز الذي بدا يحاول المداعبة من أجل أن يخلصها من قلقها:

– أتنتظرين أحدا في غرفة العمليات الآن ؟

أجابت المرأة ببساطة:

– نعم، طفلي. البروفيسور "كانال" يجري له عملية في الساق و...

– "كانال"؟ يمكنك الهدوء إذن، إنه جراح كبير! إنني طبيب. على المعاش الآن لكنني أعرف "كانال". إنه أحد أفضل الأطباء في بلدنا!

قالت "مارتينا" وهي تبتسم:

– إنك لطيف جداً لأن تخبرني بهذا. وسيادتك ماذا تنتظر؟

– زوجتي. لقد استيقظت هذه الليلة والآلام تحاصرها. آمل ألا يكون الوقت متأخرا...

أرادت "مارتينا" تشجيع الرجل العجوز، لكنها لم تستطع إيجاد الكلمات المناسبة. ابتسمت إليه فقط وقد فهم الرجل ما تريد أن تقوله.

همس وقد بدت الجدية عليه:

– أعتقد أنهم يجب أن يخترعوا ساعات خاصة لصالات الانتظار في المستشفيات.

أرى أن عقرب الساعة يتحرك ببطء أيضا...

– لك الحق في هذا فالوقت يبدو طويلا جدا.

ثم أمسكت الكتاب الذي أخرجته من حقيبتها والذي كان مفتوحا على الصفحة الخامسة منذ أكثر من ربع ساعة.

في هذه اللحظة انفتح أحد الأبواب أمامها وخرج منه الدكتور "كانال". كان مازال مرتديا البنطلون والسترة الخضراء التي يرتديها

الجراحون في غرفة العمليات.

قال وهو يتوجه إلى "مارتينا":

– كل شيء مر على مايرام والمسألة الآن مسألة وقت فقط.. لابد من عمل أي شيء حتى تنجح العملية. سيشعر "چيف" بالألم في الثلاثة أو الأربعة الأيام الأولى لكنني تركت تعليمات إلى الممرضة أن تعطيه مهدئات بصفة منتظمة.

قالت "مارتينا":

– أشكر سيادتك. أيمكنني رؤيته عندما يخرج من غرفة العمليات؟

– بالتأكيد. إنه في غرفة العناية المركزة الآن. سينام حوالي أربع وعشرين ساعة تقريبا! لابد أن أتركك الآن يا آنسة "هاربر" هناك مريض آخر ينتظرني في غرفة العمليات الأخرى. ساريك طريق غرفة العناية المركزة.

كان "چيف" يغط في نومه وهو ممدد على ظهره. كان وجهه هادئا، ونفسه المنتظم يداعب يد "مارتينا" الموضوعة على خد النائم.

ظلت المرأة دقائق طويلة تتأمل الطفل، لكن اقتربت منها ممرضة.

– عفوا يا سيدتي لكن الزيارة ممنوعة في العناية المركزة. أعلم أن الدكتور "كانال" سمح لك بالدخول لكنني متأسفة...

همست "مارتينا":

– أقدر هذا. سأنصرف! لكن قولي لي متى سيعود "چيف" إلى حجرته؟

– خلال ساعة أو ساعتين عندما يستعيد وعيه...

– شكرا يا آنسة!

ثم ابتعدت "مارتينا" وهي تلقي نظرة أخيرة على سرير "چيف".

www.elromancia.com

دفعت "مارتينا" الباب الزجاجي لصالة المستشفى عندما لمحت ليموزين سوداء توقفت أمامها ونزل منها "كيڤين" في الحال.

أشار إلى السائق أن يركن على بعد عدة أمتار من مكانها ثم قال:

– أنهيت الأمور المستعجلة في المكتب وأتيت!

– إنك رقيق للغاية. رأيت لتوي البروفيسور "كانال" وبدا أنه راض بالطريقة التي سارت عليها العملية. سيعاني المسكين "چيف" في الأيام الأولى... ثم لابد من الانتظار لمعرفة إذا كانت العملية قد نجحت أم لا!

سأل "كيڤين" وهو يمسك يدها:

– هل تمكنت من رؤية "چيف"؟

– نعم، إنه مازال تحت تأثير المخدر، سيعيدونه إلى حجرته في غضون ساعة أو اثنتين...

– "هوبز" اتصل بي عدة مرات في الصباح ليعرف أخبار "چيف"... لقد كلفني بأن أقول لك إنه معك بقلبه وإنه سيأتي لرؤية الصغير بمجرد أن يتاح له ذلك.

– العزيز "هوبز". إنه لطيف للغاية..

نظر "كيڤين" إلى ساعته التي أشارت إلى قبل منتصف الليل بربع ساعة ثم قال:

– إذا رغبت يمكننا الذهاب إلى المكتب ونقترح عليه أن يتناول الغداء معنا. إلا إذا كنت تفضلين أن نبقى معا نحن الاثنين...

أجابت المرأة:

– لا! أبداً! أرى أنها فكرة طيبة جداً لنمرّ على "هوبز" ونذهب لتناول الطعام معه. على أية حال لن يستيقظ "چيف" الآن وسأعود إلى المستشفى نحو الرابعة مساء.

جلس "كيڤين" و "مارتينا" في المقعد الخلفي للسيارة التي انطلقت في صمت تام.

الفصل الحادي عشر

عندما رنّت "مارتينا" جرس شقة والدها زادت نبضات قلبها، ورجعت المرأة ما يقرب من عشرين سنة إلى الوراء عندما كانت مرتدية فستانليا أزرق فاتحا، وتطرق على باب والدها لتريه إياه. بذلت "مارتينا" مجهودا لتطرد هذه الذكريات وتواجه الموقف الحالي.

سمعت المرأة خلف الباب الخشبي صوت أقدام تقترب. انفتح الباب حينذاك وظهر والدها.

إنها هي التي قد اتخذت مبادرة المقابلة. لقد تناقشت كثيرا مع "كيڤين"، وأدركت أن موقفها في المطعم كان به شيء من العاطفة غير المتحكم فيها. كان لابد من وضع نهاية لهذا الموقف غير اللائق وأن تتحاور بهدوء مع أبيها. مع احتمال اختلافها مع أبيها بشكل نهائي قررت "مارتينا" – بناء على نصيحة "كيڤين" – أن تحدد موعدا.

وها هو أمامها مع شعره الرمادي وتكوينه العضلي. لاحظت "مارتينا" بدقة وجهه قبل أن تدخل. "لا شك أنه متأثر على الأقل مثلها". ثم دخلت الصالون في عقبي والدها.

قال بتلهف:

– أرجوك يا "مارتينا"، اجلسي.

نفذت "مارتينا" ما طلبه منها وظلت صامتة لحظات طويلة، وجلست على بعد عدة أمتار من الشخص الذي تعتقد أنه أكثر

www.elromancia.com

شخص تكرهه في العالم. لكن المرأة أحست أن كل أثر للحقد أو الكراهية اختفى من داخلها كما لو كانت لم تقابل شخصا غير أبيها الجاف والقاسي في طفولتها. إنه إنسان آخر أحست أمامه أنها مجردة من سلاحها.

كان "چون" هو من كسر حاجز الصمت:

– أريد أن أقول لك قبل أي شيء...

لكنه تردد وأخذ يبحث عن الكلمات.

– أريد أن تعرفي أنني سعيد جداً... إنني مسرور جداً أنك أتيت اليوم لتريني وتتحدثي.

كانت العاطفة الشديدة واضحة على وجه "چون مانينجز".

– لم أقدم لك شيئا! أتريدين شايا؟ أو أي شيء آخر؟

تذكرت "مارتينا" حب والدها للشاي الذي كان يحضره من محل مشهور بـ"لندن".

قالت المرأة:

– سآخذ قدحا من الشاي، شكراً.

ضغط والدها حينذاك على زر مختف وراء ستار النافذة وعاد للجلوس أمام "مارتينا". ساد صمت مطبق على الصالون حينما طرق الخادم الباب ثم دخل.

قال "چون مانينجز" الذي علم خادمه الطريقة التي يريد أن يقدم بها الشاي:

– "أندرو"، لطف منك أن تعد الشاي.

انغلق الباب خلف "أندرو" وساد صمت مطبق مرة أخرى.

قالت "مارتينا" في قرارة نفسها: "لابد أن تتكلم وتقول شيئا، أي شيء وإلا سيزداد الأمر صعوبة"! لم يكن لديها الوقت لفتح فمها

حيث بادرها أبوها قائلا:

– كيف حدث أننا لم نلتق يا "مارتينا" إلا اليوم بعد كل هذه السنين ونحن بعيدان عن بعضنا.

ثم تنهد واستطرد بحزن:

– لقد رأينا بعضنا فقط يوم دفن "كارولين"؟

أجابت "مارتينا":

– لا، وإذا كنا قد التقينا اليوم فاعتقد أننا ندين بهذا نحن الاثنين إلى "كيڤين"...

– أحب هذا الولد كثيرا. أعرفه منذ فترة طويلة جداً. لم يكن إلا طفلا عندما عملت مع والده كثيرا... عندما رأس "كيڤين" مؤسسة "توليفر"، ساعدته بقدر استطاعتي. لقد عمل دراسات مدهشة، لكن هذا لا يكفي لتعلم كل خفايا وحيل رجال الأعمال.

توقف "چون". لقد فهم من نظرات "مارتينا" أنهما لم يتقابلا بعد كل هذه السنين ليتحدثا عن "كيڤين". يلزمهما أن يوضحا موقفهما، ويتذكرا الماضي ليحاولا اللحاق بالوقت الضائع.

همس "چون":

– نعم... لكننا لسنا هنا لنتحدث عن "كيڤين".

رفع عينيه حينذاك إلى وجه "مارتينا" المتوتر.

– لديّ أشياء كثيرة أرجو أن تغفريها لي. إنني أعرفها. أعلم أنني تسببت في معاناتك أنت و"كارولين". لكن ليس بسبب أنني لا أحبكما... لا يوجد شخص يحبكما أكثر مني: إنه رحيل أمك منذ فترة طويلة... إنها كانت كل حياتي. عندما ولدت كانت ستجن من الفرحة لإنجابها طفلة رائعة مثلك. كنت ولاتزالين جميلة ورشيقة...

www.elromancia.com

"ماري" كانت سعيدة جدا على الرغم من أن حملها كان صعبا. لقد حذرها الأطباء ونصحوها بعدم الإنجاب مرة أخرى. لكن عندما خرجت "كارولين" إلى الدنيا لم تقل فرحة أمك عن فرحتها بك. أجمل شيء في الدنيا أنه كان لدي طفلتان! طفلتان رائعتان! بعد شهرين من ولادة "كارولين" ماتت من جراء الولادة.

استمعت "مارتينا" إلى كلام والدها بعناية، كما لو كان فيلم حياتها يدور أمامها من البداية. كانت متأثرة جداً، وكان انفعالها كبيراً جدا حتى أنها قرأت في نظرات أبيها إحساسا بالألم الشديد.

واصل "جون" حديثه:

– انقلب كل شيء في حياتي بعد موت "ماري". وابتعدت عنكما لأنني اعتبرتكما – بشكل غير مدرك – مسئوولتين عن موت أمكما... لم أعد أتذوق أي شيء. وللحقيقة لم تعد لدي الرغبة في الاستمرار. انخرطت في العمل لأنسى الماضي. وبما أنك و"كارولين" تشبهان أمكما إلى حد كبير... فإن كل مرة أنظر فيها إليكما تعاودني ذكرى "ماري" وكان هذا لا يطاق!

– ولهذا تجنبتنا وتخليت – رويدا رويدا – عن تربيتنا وعهدت بها إلى جدّي؟...

– نعم، يصعب عليّ قول هذا لكن هذا ما حدث. لم يكن موقفي يشبه موقف شخص شرير أو قاس بطبعه: لكنني على ما أعتقد كنت أجسد موقف شخص مُعذب وليس أمامه أي اختيار آخر إلا التصرف هكذا للاستمرار في الحياة. عندما تزوجت "جلوريا" زوجتي الجديدة اقترحت علي أن أرسلكما إلى مدرسة داخلية. كانت تعتقد أن...

قاطعته "مارتينا":

– إنها تكرهنا!

– لا أعرف. كانت امرأة غريبة. كانت تجد صعوبة في التحدث مع الأطفال ولابد أن أقول إنكما – أنت وأختك – لم تكونا طفلتين سهلتين.

– ربما كانت فترة الشباب التي عشناها لم تساعدنا بالتحديد على أن نكون "طفلتين سهلتين"!

كان صوت "مارتينا" يبدو كالاتهام المفاجئ.

أجاب "جون" وهو يخفض عينيه:

– إنك محقة بالتأكيد.

ندمت "مارتينا" على نبرتها اللاذعة.

ثم سألته برقة:

– لكن "جلوريا" بدت قاسية معك أنت أيضا؟

– ليست هذه الكلمة الصحيحة! لنقل إنه نشأ بعد فترة قصيرة من زواجنا اختلاف كامل... إحساس ربما يصعب احتماله أكثر من الكراهية!

– أتذكر الخطابات التي أرسلتها أنا و"كارولين" إليك لنطلب منك المجيء لتمضية عدة أيام معنا في "الوادي السعيد"؟ أتيت لكنك رحلت في صباح اليوم التالي...

– نعم، أتذكر جيداً خطاباتكما التي احتفظت بها. إنها مؤثرة جداً. كنت متأكدا أن كل شيء سيعود إلى ما كان عليه قبل ذلك عندما كنتما صغيرتين. كنت سعيدا للعثور عليكما مرة أخرى. لكن بمجرد وصولي كيّل لي جدكما اتهامات عنيفة. ربما لم يكن مخطئا، لكن كلامه كان قاسيا لدرجة أنني لم أستطع البقاء. تلاشت كل أفكاري، ورحلت مثلما يهرب المرء بعد موعد مع الحب

www.elromancia.com

الضائع...

– لا تتصور مدى حزني أنا و"كارولين" في صباح اليوم التالي عندما أخبرتنا "سيبيل" أنك رحلت! بكينا مثل الأيتام وأحسسنا أننا خيبنا ظنك. لم نكن الطفلتين اللتين تريدهما. يا له من إحساس فظيع..!

ثم كانت هذه الوظيفة التي قبلتها في شركتك...

– نعم، قمت بعمل مدهش، وعندما تدرجت في المناصب فإنه يمكنني أن أؤكد لك أنه لم يكن نتيجة أي وساطة. كنت فخورا بك، لكن عندما حاولت أن أحدثك عن شيء آخر غير العمل لم تتواجدي. أحسست أنك باردة ومتحفّظة. ومرة أخرى تخليت عن هذا الأمر.

– هذا لأنني أردت أن أكون موظفة مثل الآخرين. وفي ذلك الوقت كنت قد انتهيت في التو من دراساتي، وكنت حانقة عليك. أما بالنسبة لموقفك مع "كارولين" التي كانت قد تزوجت، وطفولتنا التي لم تنته في حالتي، فإنني كنت مراهقة في ذلك الوقت. كنت لا أزال شابة!

– لقد تزوجت وهذا الزواج كان فاشلا، لمت نفسي عليه منذ فترة طويلة... لست أنا من قدّمك إلى هذا الولد. لكن يمكنني أن أقولها اليوم. لقد فعلت كل شيء لأشجع هذا الزواج... كان الموت المأساوي لـ"كارولين" تجربة قاسية لطبيعة زوجك الحقيقية. الحق يقال إنه لم يتفوق حقيقة بفضل وجودك إلى جانبه طوال هذه الأيام الفظيعة...

ثارت "مارتينا" فجأة:

– اترك "توني" جانباً. لن نتكلم عن هذا فإنه ماض قديم. صحيح

أن "توني" شخص غير مهم، وصحيح أنني وجدت نفسي وحيدة عند موت "كارولين"، لكنك أيضا لم تتواجد في تلك الفترة!

اخفض "جون مانينجز" عينيه. استطاعت "مارتينا" قراءة الخجل على وجه أبيها الذي تنهد تنهدة طويلة:

– إنك محقة، فموت أختك كان بمثابة فرصة لنا لأن نلتقي. لكنني لم أستطع أن أمسك بها. إنني ضعيف دون شك.

لأول مرة منذ بداية حوارهما أحست "مارتينا" أن قلب والدها متأثر جداً.

لم تدهش المرأة أيضا عندما رأت حركة الرجل العجوز الخاطفة وهو يمسح عينيه الرطبتين.

ثم أضاف بصوت ضعيف كما لو كان لا يجرؤ على النظر إليها مباشرة:

– أيمكنك أن تسامحيني؟ آمل على أية حال أن تكوني سعيدة مع "كيڤين".

قلت لك إنني أعرفه منذ فترة طويلة: إنه شخص رائع و....

– أبي...

دوّى صوت "مارتينا" بوضوح في الغرفة. لما سمع هذه الكلمة رفع "جون" رأسه. إنه لم يسمعها منذ سنوات. أدركت "مارتينا" في الحال الإحساس الذي فجّرته بداخل أبيها. ثم واصلت حديثها:

– أبي علاقتي بـ"كيڤين" لا تخص أحداً غيري أنا وهو. إنني سعيدة لأنك تقدر "كيڤين توليڤر" لكن هذا لن يغيّر شيئا من أساس المشكلة.

بدا صوت المرأة رقيقا حينذاك:

– تفهم ما أعنيه...

www.elromancia.com

أجاب "چون" الذي ابتسم ابتسامة باهتة:

– نعم. ترين كيف هم الآباء: بعد غيابهم فترة طويلة يريدون الآن أن يفرضوا أنفسهم بالقوة!

ألقت "مارتينا" نظرة على ساعتها:

– لابد أن أرحل. أريد أن أكون بجانب "چيف" عندما يستيقظ.

– هل تناقشت مع الجراح بعد العملية؟ لقد أجرى العملية هذا الصباح في وقت مبكر، أليس كذلك؟

سألت "مارتينا" التي بدت الدهشة على وجهها:

– لكن كيف عرفت بهذا الأمر؟

تردد "چون" لحظة ثم ابتسم:

– إنه سر لكن أعتقد أنه يمكنني الكشف عنه اليوم: أعلم أخبار الطفلين وأخبارك منذ سنوات من خلال "سيبيل". إنها تتصل بي عندما لا تكونين موجودة، ثم أتصل بها على الفور حتى لا تدفع ثمن المكالمة. لقد وعدتني ألا تحدثك عن هذا. لكن هذا أصبح غير ذي أهمية اليوم...

لم تقل "مارتينا" شيئا لكنه كان دورها لأن تتأثر. إن عدم الاكتراث الذي كانت تعيره إياه لم يكن حقيقيا. بالتأكيد لم يكن قادراً على ربط خيط الحوار الذي تقطع بينهما. لكنه كان يعرف أخبار "تومي" و"چيف" وابنته أيضاً.

أجابت أخيرا على سؤال والدها:

– نعم، رأيت البروفيسور "كانال" الذي كان متفائلا. لابد أن أعترف أنني شعرت بارتياح شديد عندما علمت أن العملية مرت بسلام.

– أريد أن أسألك يا "مارتينا"... هل يمكنني أن أذهب لزيارة

"چيف" عندما يتحسن؟

– بالتأكيد يا أبي. إنني مقتنعة تماما أنه سيسعد برؤية جدّه.

أتعلم أنه كان دائما يسألني عنك ؟

همس "چون" بصوت حزين:

– لابدّ أنك وجدت صعوبة في إيجاد تبريرات لغيابي.

– لن نتكلم عن هذا. تعال لزيارة "چيف" في المستشفى واعلم أنه سيفرح لذلك.

نهضت المرأة ونظرت حينذاك إلى الصينية الفضية التي وضعها الخادم:

– لقد تحدثنا كثيرا حتى إننا لم نفكر في شرب الشاي! ألا تزال تتبع طقوسك في شرب الشاي!

قال "چون" وهو يبتسم:

– أمازلت تتذكرين؟ صحيح إن شاي الرابعة من الطقوس التي لا أفوتها ولو بكنوز الدنيا... لكن لم يعد الأمر هكذا اليوم لأنه ليس يوما مثل بقية الأيام الأخرى حيث إننا التقينا من جديد فيه.

مشى "چون" ناحية باب الصالون لينظر في عيني "مارتينا" الزرقاوين اللتين تركزتا عليه كما لو كانتا تسألانه عن المزيد. في اللحظة التي فتح لها استدار نحوها، ولم يجرؤ على تقبيلها. على الرغم مما قد تحدثا فيه، والدموع والاعترافات إلا أن التقاءهما كان مازال حديثا. فهم "چون" هذا بسرعة.

أحس أيضا أن البغض والنفور الجسماني اللذين ظهرا على "مارتينا" في المطعم في ليلة البارحة قد تلاشيا.

– أريد أن أقول لك قبل رحيلك إنني سعيد للغاية من مجيئك. لا أعرف كيف ستكون علاقتنا الآن. ربما تنجح في إعادة ربط العلاقات

www.elromancia.com

التي انقطعت منذ سنين. على أية حال كنت أريد أن أحدثك منذ سنين. لا أعرف إذا كنت بليغا في كلامي... لكنني أشعر بارتياح شديد لأني استطعت أن أوضح موقفي.

اجتازت "مارتينا" عتبة الباب، واستدارت حينذاك إلى أبيها، ونظرت إليه كثيرا. لم تنطق بكلمة، لكنها اقتربت منه ببطء ووضعت يدها على كتفه.

اكتفى "جون" بإسدال جفونه. لقد اضطرب من هذه الحركة لكن لم يعرف ماذا يقول. لكن انخفاض رموشه اعترف لها بكل شيء.

الفصل الثاني عشر

لدى عودة "مارتينا" إلى المستشفى مالت على سرير "جيف" الذي كان لا يزال شبه نائم. لكنه أحس بوجود أحد وفتح جفونه:

- "مارتينا"، أهذا أنت؟

- نعم يا عزيزي. لا تتحرك. إنني هنا.

كان "جيف" مازال يعاني والمهدئات الكثيرة التي يتجرعها لا يمكن أن تجعله ينسى الألم الواخز لساقه.

عندما قدم العشاء فيما بعد لم تطق "مارتينا" أن توقظ الصغير الذي راح في النوم. ساعدت "ستيف" فقط على تناول وجبته وهي تتحاور معه بصوت منخفض خشية أن توقظ النائم. أطفأ "ستيف" مصباحه، ووجدت "مارتينا" نفسها وحيدة في الحجرة. كانت تحمل كتابا لكنها لم تقدر على التركيز. تركت كتابها فجأة وأغمضت عينيها.

أحست "مارتينا" بالتعب الشديد... لقد أصبح كل شيء سريعا في حياتها منذ مقابلتها مع "كيڤين". ثم كانت مشكلة عملية "جيف" ومقابلتها مع "جون مانينجز". لكن كل هذه الأحداث بدت مضاءة في ذهن "مارتينا" بضوء خاص جداً. فهمت المرأة في الحال أن هذا الضوء هو ذلك الذي أحضره "كيڤين" إليها منذ أن دخل حياتها...

همس صوت بجانبها:

- "مارتينا"!

ارتجفت المرأة. إنها لم تسمع أحداً يدخل. رفعت عينيها وتعرفت على خيال "كيڤين" في الظلام.

- أهو أنت؟

- نعم. تعالي إلى الدهليز. أخشى أن أوقظ الصبيين...

بمجرد أن خرجت إلى صالة الدهليز ألقت بنفسها بين ذراعيه.

- يا عزيزتي، انتظرتك بالمنزل ولما لم تأتي أخذت السيارة وجئت للبحث عنك... كيف حال "جيف"؟

- المسكين لا يزال شبه نائم. إنه متـرنح بسبب المسكنات. إنه يعاني الكثير كما توقع الدكتور "كانال".

- وموعدك مع أبيك؟

خفضت "مارتينا" عينيها. كان يصعب عليها أن تتحدث عن استعادة العلاقة التي حدثت منذ فترة. تلعثمت قائلة:

- الأمر معقد.. لقد تحدثنا طويلا. كان مؤثرا تارة وتارة أخرى قاسيا وغريبا أحيانا!

ثم نظرت في عينيه:

- شكرا يا "كيڤين".

www.elromancia.com

– علام؟

– شكرا على وجودك هنا لأن تضمني إليك. شكرا لما أنت عليه. شكرا لأنك أقنعتني أنني لن أتمكن من العثور على التوازن الحقيقي إلا إذا تصالحت مع أبي.

لم يرد "كيڤين" عليها بشيء، لكنه أغمض عينيه وضم المرأة إليه بقوة:

– تعالي، السيارة تنتظرنا. لنعد إلى المنزل!

مرر "كيڤين" و "مارتينا" رأسيهما من فتحة الباب الموارب ليتأكدا من أن "چيف" نائم في هدوء ثم توجها نحو المصعد واصطحبتهما الليموزين الطويلة إلى منزلهما.

*****

سألت "مارتينا" وهي تتخلص من معطفها في دولاب الثياب:

– هل تشعر بالجوع؟

أجابها "كيڤين" في الحال:

– آه! نعم. أتريدين أن أطلب وجبة صغيرة لاثنين من المحل الذي يسلمها لنا في المنزل هنا؟

– لا، هذا غير مجد. سأرى ما لديك بالثلاجة وألعب دور سيدة المنزل.

وجدت "مارتينا" في المطبخ بيضا، وعش الغراب، وفاكهة، وكل ما تحتاجه لإعداد عشاء خفيف. صنعت عجة بيض مع عش الغراب وتناولاها بسرعة.

في اللحظة التي كانت تتناول فيها القهوة اقترحت "مارتينا" أن تتصل بـ"كولورادو": ستسعد "سيبيل" بسماع صوتها. كانت

تتحرق شوقا لسماع أخبار عملية "چيف"، وستشعر بالارتياح عندما تعلم أن الدكتور "كانال" متفائل. كان "تومي" نائما، لكن عندما سمع "سيبيل" تتكلم في التليفون استيقظ واستمر الحوار ما يقرب من نصف ساعة. أراد التحدث إلى "كيڤين" و "مارتينا". أراد أيضا أن يعرف أخبار أخيه وحكى قائمة ما حدث "بالوادي السعيد" منذ رحيل "مارتينا".

عندما وضعت المرأة السماعة كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة. جلس "كيڤين" و "مارتينا" حينذاك في الصالون حيث أشعل "كيڤين" نار المدفأة.

قالت "مارتينا":

– لم أتصور مطلقا أنه يمكنني إشعال نار في شقة بـ"نيويورك". كنت أظن أن هذا النوع من اللذة مقصور على المجانين الذين يدفنون أنفسهم في "كولورادو"!

سخر "كيڤين" من المرأة:

– أتعتبرين حقا سكان "مانهاتن" ضحايا! لدي أصدقاء كثيرون يجهزون مدفأة في شققهم. ما يثير السخرية حقا هو شراء الخشب في شنط من البلاستيك لكن للأسف أتصور نفسي وأنا أكسر أشجار "سنترال پارك".

ضحكت "مارتينا" من أعماق قلبها وقالت:

– بالمناسبة لم تحدثني مرة أخرى عن هذا الأرعن الذي قابلته لأول مرة عندما حضرت اجتماع مجلس الإدارة. أتعلم أنه كان فظا معي للغاية لأنه كان يشك أن مناوراته لطمس تقاريري ستُكشف!

– أتقصدين "تالبت"؟

– نعم، هذا هو. أتذكر أن لقبه يشبه لقب ماركة سيارة لكنني لا

www.elromancia.com

أتذكرها الآن...

– إنها قصة قديمة. لقد استقال. "تالبت هوبز" – كما هي العادة دائما – كان محقا: لم أكن في حاجة لأن أطرده، لقد رحل من تلقاء نفسه. لقد انغمس المسكين في قصة لا يمكن تصديقها بسبب ابنه! هذا الأخير أدمن المخدرات ثم اللعب، ويمكنك تصور ما تسببه الحاجة إلى المال.

"تالبت" يحب دائما ابنه ولم يرفض له أبداً أي طلب. في أول مرة أتى فيها ليراني منذ عدة سنوات سعيت إلى أن تمنحه المؤسسة سلفة كبيرة يتم استقطاع جزء منها من راتبه. لكن للأسف لم يكف هذا. وبعد فترة قصيرة سألته عن أخبار ابنه وأجابني أن كل شيء على ما يرام، وأنه خرج من الورطة المالية التي كان بها. هذا المسكين "تالبت" كذب علي. "عندما اكتشفت أنه يخفي عني بصفة منتظمة كل التقارير التي تكتبينها للمؤسسة حاولت أن أفهم مقصده من تصرفه هذا. كان تفسير ذلك بسيطاً جدا وهو أن "تالبت" على اتصال مع وكيل كبير للموبيليا بـ"كاليفورنيا" والذي ضمن له عمولة على كل الأراضي المباعة التي سيتفاوض بشأنها مع مؤسسة "توليفر". ومن هنا كان هجوم الرجل المسكين على التوصية بالأراضي الصناعية في "كاليفورنيا"! عندما فهم أنني اكتشفت سر القضية برمتها جاء وقدم استقالته بعد اجتماع مجلس الإدارة الذي حضرته.

– يا للنهاية التعيسة لنائب مؤسسة كبيرة!

– ولكن تذكري شيئا ما: إنني لم أكن سأقابلك إذا لم أكتشف الأعيب "تالبت".

كان "أ. س. هاربر" سيبقى مستشارا مغمورا تركن تقاريره دائما على أرفف دواليب الأرشيف.

همست "مارتينا":

– ربما تكون محقا. على أية حال لم أعد أتصور عما ستكون عليه حياتي بدونك!

سأل "كيفين" بنبرة ساخرة:

– وأنا كذلك، منذ أن قابلتك أحسست أنني لم أعد نفس الشخص.

توقف "كيفين" لحظة وتأمل المرأة كثيراً قبل أن يضيف:

– أحبك يا "مارتينا".

لم ترد "مارتينا" بشيء ولكنها قالت في قرارة نفسها: "ماذا فعل ليجعل الحب بسيطا وطبيعيا أيضا"؟ "أحبك..." كم مرة سمعت هذه الكلمة التي تقال في الواقع مثلما تقال في الروايات؟ ولكن عندما يكون "كيفين" هو الذي يهمس بها فإنها تصبح ساحرة وحقيقية في نفس الوقت.

تمددت "مارتينا" تماما على الأريكة، ونظرت إلى "كيفين" نظرة كلها اشتياق وحب، وعبر كل منهما للآخر عن حبه بطريقته.

*****

في اليوم التالي عاش الصغير "چيف" لحظات عصيبة مرة أخرى: كان يتألم كثيرا والأقراص التي تعطيها له الممرضات لا تكفي لتهدئة الألم. إن هذه الأدوية تنجح في إغراقه في حالة قريبة من السبات دون أن تنجح في فك الطوق الحديدي الذي يبدو أنه يحبس ساقه.

توالت الأيام والألم يقلّ بالتدريج ومن ثم بدأت "مارتينا" تشعر بالارتياح. قضت المرأة اليوم كله على سرير "چيف" وحاولت مواساته.

في المساء تركت "مارتينا" "چيف" بعد العشاء الذي قدم نحو السابعة تقريبا. كانت السيارة في انتظارها لتصطحبها إلى الشقة

التي رجع "كيفين" إليها مبكرا كعادته. كان "كيفين" و"مارتينا" يتناقشان كل يوم عن مشروعاتهما للخروج إلى المسرح، أو السينما، أو إلى المطعم في مساء اليوم التالي... لم يشعر الاثنان بأي ملل في التعبير عن حبهما.

وذات صباح سأل "كيفين" بمجرد خروجه من الحمام:

– يا عزيزتي، أتريدين أن أصطحبك إلى المستشفى هذا الصباح؟ لديّ موعد قررت أن ألغيه. ثم إنني أرغب في رؤية "چيف". ربما يمكننا أن نلعب معه! ما رأيك؟

– هذا سيكون مدهشا. لكن هل أنت متأكد أنه يمكنك إلغاء موعدك؟

– لا تشغلي بالك. سأطلب من سكرتيرتي أن تختلق عذرا لتعتذر عن غيابي. لابد أن أخبرك أنها بارعة في هذا!

– أه! تلمع عيناك عندما تتحدث عنها، إنها جميلة جدا بالتأكيد.. إنني أتذكرها منذ ذلك اليوم الذي انتظرتك فيه كثيرا بمكتبك عندما نمت. إنها ظريفة حقا!

انفجر "كيفين" ضاحكا وسأل وهو يمسك خصرها:

– أتشعرين بالغيرة؟

قالت "مارتينا" التي ضحكت بدورها:

– لا. كنت امزح. لكنني أعتقد أنه يجب أن نرحل: "چيف" ينتظرنا.

صاح "كيفين" وهو يلتقط معطفه من على الشماعة:

– إنك محقة، إنها العاشرة تقريبا! هيا إلى الطريق.

*****

عندما كان "كيفين" و"مارتينا" في الدهليز الموصل إلى غرفة "چيف" و"ستيف" دهشا لسماع صوت غير معروف يتحدث مع

الطفل. إنه – بلا شك – صوت رجل كبير.

همست "مارتينا":

– لا أظنه الدكتور "كانال".

همس "كيفين" الذي مدّ أذنه خلف الباب الموارب:

– صه.

قال "چيف" بنبرة واثقة:

– إنني أعرفك بالتأكيد! أعتقد أنك جدّي، والد أمي و"مارتينا"...

أجاب "چون مانينجز":

– نعم، ها قد خمنت إنني جدك...

– عرفتك لأنني رأيت صوراً لك من قبل. إنها "سيبيل" التي أرتني إياها! لكنك لم تكن بالتأكيد مثل اليوم.

– كلا. كان لابد أن ترى صورا قديمة. لقد كبرت وابيض شعري بلا شك؟

– نعم، كيف عرفت أنني بالمستشفى؟ هل "مارتينا" هي التي أخبرتك؟

– نعم. تقابلنا بالأمس... إننا لم نر بعضنا منذ سنوات.

– لم هذا؟ كنت غاضبا؟ هل تشاجرتما؟

– شيء من هذا القبيل... ألم تكلمك "مارتينا" عن هذا أبداً؟

– كلا. عندما كانت "مارتينا" تتحدث عنك كانت تخبرنا بأنك مشغول جداً ويصعب عليك المجيء لرؤيتنا في "كولورادو" البعيدة عن "نيويورك" لكن...

أصر "چون" الذي أراد أن يحدد "چيف":

– ولكن ماذا؟

– حقيقة القول لم أكن أصدقها لأن "كيفين" نفسه يأتي من

www.elromancia.com

"نيويورك" ليرانا!

تبادل "كيڤين" و"مارتينا" – اللذان مازالا واقفين خلف الباب – ابتسامة تواطؤ.

استطرد "چون" الذي بدا صوته مضطربا:

– كنت محقا في ذلك كولد صغير... ليس بسبب كون المرء رجلا عجوزا مثلي أنه لا يرتكب حماقات! لقد ارتكبت الكثير من الحماقات:

ومنها البقاء فترة طويلة دون أن أرى أمك "كارولين" و"مارتينا" أيضا وهذا شيء أندم عليه بشدة. ولحسن الحظ أنه تم نسيان كل شيء اليوم وآمل أن أراك أنت و"تومي" كثيرا.

ساد الصمت في الغرفة. تاثرت "مارتينا" كثيرا بما سمعته.

طرق "كيڤين" باب "چيف" الذي قال:

– ادخل!

اقترب "كيڤين" و"مارتينا" من السرير. ابتسم "كيڤين" وصعب على "مارتينا" أن تخفي إحساسها.

صاح "چيف":

– إنك هنا! عظيم! لكن أترى من أتى لزيارتي؟

تصنعت "مارتينا" و"كيڤين" الدهشة عندما نظرا إلى "چون ماننينجز" الجالس على كرسي إلى جانب النافذة. اقترب "كيڤين" ليصافحه. أما "مارتينا" فقد ترددت. أيجب أن تعانق والدها الذي لم يأخذها بين ذراعيه منذ سنوات؟ وإذا فعلت ذلك فهذا يعني أنها غفرت كل شيء عن هذه السنوات الفظيعة التي أحست فيها أنها يتيمة؟

ترددت المرأة عدة ثوان قبل أن تتقدّم نحو أبيها الذي نهض وألقت نفسها بين ذراعيه.

همس "چون ماننينجز":

– ابنتي... إنني سعيد جدا...

شاهد "كيڤين" و"چيف" هذا المشهد لاستعادة اللقاء بين الأب وابنته.

جذب "چيف" "كيڤين" من مرفقه وهمس بشيء ما في أذنه.

صاح "كيڤين":

– "مارتينا"، "چون"! "چيف" لديه خبر عظيم سيعلنه لكما.

تلاقت الأنظار على الولد الصغير الذي وقف على الوسائد:

– الدكتور "كانال" أتى ليراني هذا الصباح مبكراً...

ثم صمت لحظة ليثير انتباه الحاضرين:

– وقال لي إنني ساخرج غداً!

ثم أطلق ثلاث صفرات كإشارة إلى الانتصار. اقتربت "مارتينا" من سريره وعانقته فترة كبيرة.

سالت المرأة:

– هل أخبرك الدكتور "كانال" بشيء آخر؟

– نعم. أخبرني أن عملية الزرع جيدة، وأنه إذا واظبت على جلسات إعادة التأهيل في خلال الشهور الثلاثة القادمة فإنه سيمكنني أن أمثل فريق "چونيور" بـ"كولورادو"، رائع أليس كذلك؟

استمع "چون" السعيد إلى كلام الطفل واقترب من چيف" حينذاك:

– رحيلك من المستشفى واختيارك المستقبلي في فريق "چونيور" للكرة...

وتردد "چون":

– ... ولقائي مع "مارتينا" وأنت... أعتقد أن هناك أسبابا عدة لعمل حفلة كبيرة، مارأيكم؟

www.elromancia.com

نظر "كيڤين" و"مارتينا" إلى بعضهما وابتسما.

صاح "چيف":

– نعم، نعم. حفلة كبيرة بـ"الوادي السعيد". ستصنع "سيبيل" جاتوهات كثيرة وسناكل حول البركة!

قال "چون" وهو متحير قليلا:

– أه، حسنا. حفلة كبيرة من أجلك في "كولورادو"؟

سأل الصبي وهو يتوجع إلى "مارتينا":

– بالتاكيد! أليس هذا أفضل مكان نكون فيه سعداء؟

همست "مارتينا":

– إنني متفقة معك إلى حد ما.

– حسنا. سننظم هذه الحفلة السعيدة إذن بـ"الوادي السعيد"!

*****

في منزل "الوادي السعيد" كانت "سيبيل" دائما أول المستيقظين. لقد اعتادت النزول إلى المطبخ وإعداد الفطور بعد أن شربت فنجان قهوتها الأول. عندما دفعت باب المطبخ دهشت حينما رأت "چون مانينجز" يوشك أن يعتني بالبراد الكهربائي الذي يسيل منه السائل الغامق.

– ماذا تفعل هنا في هذه الساعة؟

أجاب "چون" وهو ينفجر ضاحكا من النبرة الفظة لـ"سيبيل".

– وأنت؟

تعجبت "سيبيل" من أن أحداً يعاندها هكذا في الصباح الباكر:

– أتيت لتجهيز القهوة.

– هيا، اجلسي ستكون جاهزة في خلال دقيقة. ليس لأنني أتيت لتمضية بضعة أيام بـ"الوادي السعيد"، بل لأنني سأنام في غرفتي

حتى الظهر! على أية حال لا أنام كثيرا.

*****

بعد عودة "چيف" و"مارتينا" بقليل أخذ "كيڤين" إجازة ليقابل المرأة في "الوادي السعيد". عندما أخبر صديقه "چون" برحيله لم ينطق الأخير بأي كلمة. لكنه رفع سماعة التليفون واتصل بـ"مارتينا" ليسألها إذا كان في إمكانه هو الآخر أن يأتي ليقيم بـ"كولورادو". ألم يعد بتنظيم حفلة كبيرة بالوادي؟...

وأجابته "مارتينا" يمكنك المجيء عندما يحلو لك يا أبي. لكن لا تظن نفسك مضطراً لأن تنظم هذه الحفلة بحجة أنك وعدت "چيف". يمكننا تأجيلها إلى وقت لاحق. دائما ما نجد مناسبة طيبة عندما نريد جمع الأصدقاء"!

لم يجب "چون" بأي شيء لكنه وصل على نفس رحلة الطيران التي وصل بها "كيڤين" إلى مطار "دنڤر".

تفاهمت "سيبيل" مع "چون" جيداً حتى لو كان "چون" يمزح معها بشأن شخصيتها الفظة والمستبدة.

بمجرد أن شرب القهوة أعدت "سيبيل" الفطور الذي كان جاهزا.

ظهر "تومي"، وتبعه كلبه الذي نام الليل كله بالقرب من سريره.

كان "چيف" هو آخر من جلس إلى المائدة الكبيرة، وكان لا يزال ناعسا وصعب عليه أن يرد على الأسئلة التي طرحها جده عليه.

سأل "تومي" بجدية:

– "سيبيل" لماذا نهض "كيڤين" و"مارتينا" متأخرين منذ وصول "كيڤين"؟

أجابت "سيبيل" بلا تردد:

– إنهما متعبان. خلاصة الأمر أن "كيڤين" أتى هنا لقضاء الإجازة

ويحق له أن يستريح...

تعجب "چيف" الذي يلعب دور الأخ الكبير:

– لديك من الخفة لطرح أسئلة حمقاء دائما!

كان "تومي" يخرج لسانه على كل رد لكي يغيظه.

تدخل "چون":

– هيا، هيا! بدلا من أن تتشاجرا ما رأيكما في نزهة على الدرب الذي يصعد أعلى البركة؟

اخفض "چيف" عينيه:

– لا تخش شيئا يا "چيف". لن تذهب بسرعة. وأعتقد أن هذه النزهة قد تكون جلسة تأهيلية مفيدة، فما رأيك فيها؟ إذا أحسست بألم سنعود على الفور!

صاح "تومي":

– نعم، تعال!

– اتفقنا. سأذهب لأجهز نفسي.

*****

نهضت "مارتينا" و"كيڤين" متأخرين في ذلك الصباح: عندما نزلا ليتناولا الغداء كان المطبخ خاليا. كانت هناك "سيبيل" فقط هي التي بدأت تناول الغداء عند الظهر.

سأل "كيڤين" وهو يتثاءب ويمرر يده في شعره:

– هل رحل الجميع؟

أجابت "سيبيل":

– منذ مدة طويلة! أترى كم تبلغ الساعة الآن؟ اصطحب "چون" الصغيرين في نزهة.

دهشت "مارتينا"؟

ووافق "چيف" برغم ساقه المصابة.

– نعم، "چون" وعد أن يرجع إذا تألم "چيف". لكنه محق فالمشي بمثابة جلسة تأهيلية طبيعية. يكفي أنها لا تُجبر عليه!

قال "كيڤين":

– بما أن "سيبيل" أشارت إلى تأخر الوقت فإن وقت الفطور قد فات. ما رأيك في الغطس في البركة بدلا منه؟

– فكرة عظيمة جداً. سنعود متضورين من الجوع ويشرفنا تناول أطباق "سيبيل" الصغيرة.

– الأطباق الصغيرة! أطباق "سيبيل" الجميلة!... لا يوجد أروع منها هذا الظهر. علاوة على أن جزار المدينة في إجازة

ردّ عليها "كيڤين":

– لا تقولي شيئا يا "سيبيل". إنني متأكد أنها ستكون رائعة.

*****

بعد ربع ساعة من استحمام "مارتينا" و"كيڤين" تمددا تحت ظل الشمس المشرقة: قالت "مارتينا":

– لا أصدق أن هذه الإجازة ستنتهي وأنك ستعود إلى "نيويورك".

ابتسم "كيڤين" بخبث واعترف وهو يمسك بيد "مارتينا":

– لا أملك الجرأة للكشف عنه يا عزيزتي ولكن...

قاطعته "مارتينا" وهي تعتدل على مرفقيها:

– أستخبرني بخبر سيئ!

– لا! لماذا تقولين هذا؟ لا أريد فقط أن أخبرك أنه منذ أسبوع أو ثلاثة أسابيع طلبت من "هوبز" أن يتكفل بدراسة خاصة بمؤسسة "توليڤر" لكنها تخصنا نحن الاثنين!

– ما هذه الألغاز؟! لا أفهم شيئا مما تقوله.

www.elromancia.com

– لكن الأمر بسيط! ما العلاقة بين "توليفر" ونحن.

– لا أعرف، إنها "نيويورك" بلا شك.

– بالضبط. طلبت من "هوبز" أن يدرس انتقال مقر الشركة الموجودة بـ...

قاطعته "مارتينا" التي لم تصدق أذنيها:

– لا؟ أتتكلم بجدية؟ ستأتي إذن للاستقرار بـ....

– "دنفر" بـ"كولورادو"، ها قد خمنت كل شيء!

– لكن هذا رائع... أستصدقني أنا أيضا إذا اعترفت لك بشيء ما؟

– أصدقك دائما عندما تنظرين في عيني مباشرة.

– لا، إنني جادة! تحدثت إلى الطفلين وأخبرتهما أننا ربما ننتقل إلى العيش في "نيويورك".

ضحك "كيڤين" ضحكة صريحة وعالية:

– تصور أنهما أخذا الأمر بفلسفة ولم يعارضا مطلقا فكرة العودة إلى "الوادي السعيد" في الإجازات فقط.

– أجعلت هذا المسكين "هوبز" يعمل الدراسة من أجل لا شيء؟

– ليس بهذه السرعة. أرى أنها ليست فكرة سيئة مطلقا أن تفكر في البعد عن "نيويورك"...

ابتسمت المرأة وكانت سعيدة، سعيدة مثل المرأة التي تعرف أنها محبوبة. لقد وافق "كيڤين" على نقل مؤسسة "توليفر" إلى "كولورادو" ليبقى إلى جانبها. قالت المرأة في قرارة نفسها: "لا يهم الآن إذا كان هو الذي سيأتي إلى "دنفر" أو أنا والصغيران سننتقل إلى "نيويورك". أهم ما في الأمر هو أن "كيڤين" يحبني أكثر من أي أحد في العالم"!

كانت الشمس قد وصلت إلى ذروة أوجها عندما عزما على

العودة: لابد أن "سيبيل" تنتظرهما بالغداء. في اللحظة التي كانا يتأهبان للعودة إلى الدرب المؤدي إلى المنزل سمعا صرخات أطفال: إنه "چيف" و"تومي" و"چون" الذين عادوا من نزهتهم.

صاحت "مارتينا":

– هالو! كل شيء على ما يرام؟

قال "چون":

– رائع.

ثم اقتربت من "چيف" وسألته:

– ألا تشعر بالم؟

– مطلقا. أحس أيضا أن هذه النزهة أفادتني كثيرا. ظللت ساكنا فترة طويلة.

سأل "كيڤين" بنبرة لاذعة:

– متى ستنضم لفريق "چونيور" بـ"كولورادو"؟

– كف عن الاستهزاء بي. سانضم إليه يوما ما. لقد التقطت صورة لي مع الفريق وستنزل صورتي في الجريدة!

– ولكنني أؤكد لك أنني لا أسخر منك.

قال "تومي":

– حسنا، لنعد إلى المنزل.

عاد الجميع إلى المنزل. كما هي العادة لم تكن "سيبيل" سعيدة من انتظار طعامها، وكما هي العادة كان الطعام شهيا جدا حتى أنه التهم في عدة دقائق.

*****

في نحو التاسعة من ذلك اليوم كان الطريق الموصل إلى منزل الوادي السعيد" مسدوداً تقريبا بسيارات الليموزين المركونة على جانبيه.

www.elromancia.com

لقد وفى "جون مانينجز" بوعده لـ"جيف" في ليلة خروجه من المستشفى. وقد عزم على أن الحفل سيكون مدهشا.

لقد تركت "مارتينا" المجال واسعا لوالدها الذي اتصل بأمريكا كلها ليدعو زملاءه. ثم استدعى "جون" ابنته ليعرف مورد الأطعمة بـ"دنفر" حتى ينجح الحفل، وبادرت "مارتينا" بالرد عليه. ثم خصصت المرأة رويدا رويداً وقتا متزايدا للتجهيز للحفل لأنه فرصة لاستعادة والدها.

كان الحفل هو الحدث الذي جمعهما منذ الصباح. ضحكت "مارتينا" ووالدها كثيرا وهما يكتبان قائمة المدعوين، وينظمان خطة قائمة العشاء. إلى جانب الأسرة وأصدقائه بـ"نيويورك" أصر "جون" على أن تدعو ابنته كل المعارف بـ"كولورادو" منذ استقرارها بها.

لقد تدبر "جون" و "مارتينا" كل شيء حتى تليق هذه الحفلة باستعادتهما لعلاقتهما وشفاء "جيف".

*****

صاحت "مارتينا":

– "سيبيل"، أرجوك. لست هنا للقيام بالخدمة. رأيت رئيس الخدم وهو سيتكفل بكل شيء. أريدك أن تتمتعي أنت أيضا بهذه الحفلة!

– أوه! إنك محقة دون شك، لكن لا يمكنني أبداً أن أمنع نفسي من أداء دور سيدة المنزل. هذا خطأ، إنك المضيفة هذا المساء!

أجابت "مارتينا":

– نعم، أبي وأنا. لقد دعا أيضا أصدقاءه، وقد أتى بعضهم من "فلوريدا".

في هذه اللحظة اقترب "هوبز" الذي كان يرتدي سموكن ضيقا عليه وقال:

– "مارتينا"، الحفلة رائعة! ويا للفكرة الطيبة لأن نتناول العشاء على شاطئ الماء. لدى صعودي إلى هنا سمعت سيدة تعترض لأنها اضطرت إلى تغيير حذائها، فقد كان كعب حذائها يصل إلى عشرين سنتيمترا! ولكن عندما وصلت إلى هذا المكان المضاء جيداً أطلقت صيحة إعجاب.

بدأت الأوركسترا في هذه اللحظة المقطوعة الأولى لـ"أوقات الصيف".

قال "هوبز" والاحمرار يكسوه حتى منبت شعره.

– "سيبيل" أتشرفينني بهذه الرقصة؟

صاحت "سيبيل" بفظاظتها المعتادة:

– أنا؟ أرقص؟ أعترف أنني لم أفكر...

قالت "مارتينا" وهي تبتسم:

– أرجوك يا "سيبيل". لماذا لا ترقصين مع السيد "هوبز"؟

لم ترد "سيبيل" بشيء لكنها أمسكت ذراع الرجل وتقدمت بخطى واثقة نحو حلبة الرقص حيث يرقص العشرات من الناس.

شاهدتهما "مارتينا" بإعجاب حينما وضعت يدها على كتفه.

سأل "كيڤين":

– أليس الاثنان مؤثرين؟ إنها ليست المرة الأولى التي أراهما فيها!

– كيف هذا؟

– نعم، منذ أن وصل "هوبز" ذهبا للتسوق معا. "هوبز" يساعد في المطبخ غالبا، ليكون مع "سيبيل" بالتأكيد.

تعجبت "مارتينا" وهي تضحك:

– ماذا تريد بالضبط؟

– أؤكد لك أن تلك هي الحقيقة ولن يكذبني المستقبل.

صاح "جيف" الذي اقترب منهما ومعه كلبه:

www.elromancia.com

– "كيڤين"! "كيڤين"! لابد أن أحدثك!

– إنني منصت إليك. إنه أمر مهم على ما أعتقد.

– نعم و...

لما تلعثم هكذا نظر "چيف" إلى "مارتينا" التي صاحت:

– فهمت، فهمت! ساترككما: لابد أنه أمر بالغ الأهمية ولا يخص النساء!

ابتسم "چيف" وهو يرى "مارتينا" تنصرف.

– أردت أن أحدثك على انفراد. إنه بخصوص زهور البجونيا لـ"روث بلاكبيرن"...

صاح "كيڤين" وهو يتظاهر بانتظار تصريح "چيف" المهم:

– الديك جديد؟

– نعم. لقد أنهي "چون" كل شيء منذ عشر دقائق.

– احك!

– حسنا، ما كدت أخرج من المنزل لحظة وصول المدعوين تخيل صدمتي عندما تحت العجوز "بلاكبيرن" تركن سيارتها. لم أكن أعرف أنها تلقت دعوة. بمجرد أن خطت عدة خطوات حتى ذهب "چون" لملاقاتها وتحدث معها عدة دقائق. لا أعرف ما قاله لها ولا أعرف إذا كان بسبب الحفل، لأن هذه العجوز تبدو فخورة بدعوتها... على أية حال عندما رأتني مع الكلب واقتربت مني وقالت: "صغيري "چيف" أخبرني جدك أنك مهموم بسبب زهوري لا تقلق يا ولدي: اتصلت بالعزيز "جراهام" الذي باعها لي، وحكيت له أن كل النباتات قد اقتلعت، وقد أتى واستبدلها بأخرى في صباح اليوم التالي"! ثم داعبت كلبي وقالت لديك كلب جميل لكنه مازال صغيراً"!

علق "كيڤين" وهو يعض شفته السفلى حتى لا يضحك:

– "چون" هو ساحر السيدات حقا. لقد نجح في تهدئة العجوز

"بلاكبيرن" وجعلها تحب الكلاب!

قال الولد الصغير قبل أن يرحل بحثا عن "تومي" ليخبره بالخبر السار:

– مدهش، أليس كذلك؟

كان "چون ماننينجز" ينتقل من مجموعة إلى أخرى، ليلقي بعبارات الترحيب على ضيوفه، الذين لم يفتهم تهنئته بحرارة على الحفلة المدهشة التي نظمها لهم.

لمح "چون" حينذاك "مارتينا" التي تتناقش مع صديقة من "دنفر"، وهي مساعدة "چيل أندرسون".

اقترب من المرأتين، وتناقش معهما بسعادة. وبعد ذلك بلحظات وجد نفسه بمفرده مع "مارتينا" وأمسك يدها، واصطحبها بعيداً قليلا عن المدعوين.

– "مارتينا"، أريد أن أعبر لك عن مدى سعادتي الليلة. بالتأكيد بسبب هذه الحفلة التي نظمتها لأصحابنا وأقاربنا لكن بسببك أنت أيضاً...

أسندت المرأة رأسها إلى كتف أبيها.

– أنا أيضا سعيدة يا أبي. سعيدة لأن أراك بجانبي.

تأمل "چون ماننينجز" "مارتينا": كانت رائعة حقا في فستانها الحريري الأخضر وحينذاك اقترب "كيڤين" منهما وسأل:

– هل يمكن أن أنضم إليكما دون أن أكون متطفلا.

صاح "چون":

– أبداً يا "كيڤين"!

قالت "مارتينا" بنبرة ماكرة:

– إنك تتكلف هذا المساء.

– لم أرد أن أزعج تلك الألفة بين أب وابنته لاسيما أن لدي طلبا

www.elromancia.com

أقدمه لسيادتك يا سيد "ماننينجز".

سأل "چون" وهو يقطب حاجبيه ويكشر بطريقة كوميدية:

– منذ متى وأنت تقول سيادتك ويا سيد "ماننينجز"؟

– ما أريد أن أقوله يخص والد "مارتينا" وليس صديقي القديم.

ظنت المرأة أن "كيڤين" سيدعوها للرقص حسب ما تمليه التقاليد، ومن ثم لم تستطع أن تمنع نفسها من حبس ابتسامة عصبية.

استطرد "كيڤين":

– يا سيد "ماننينجز" لم يمكنني إيجاد قفاز أبيض ولا قبعة لكني أتيت لأطلب منك يد ابنتك "مارتينا".

رفعت المرأة عينيها نحو "كيڤين" وتفرّست فيه طويلا وتعجبت:

– إنك مجنون حقا! ألا تعتقد أنه كان من السهل أن تحدثني عن ذلك مباشرة؟

قال "چون" الذي يجسد الكوميديا في ذلك الوقت ببراعة:

– إنني متحير حقا يا ابني. لابد أن أتحدث مع ابنتي على انفراد...

سألت "مارتينا":

– متى ستتوقفان عن أداء هذا المشهد الهزلي؟

صحح "كيڤين" وهو يقلد موقف الخطيب الأول:

– لكنها ليست كوميديا يا "مارتينا". إنني أحبك وأريد أن أتزوجك.

أجابت "مارتينا":

– أنا أيضا أحبك. عفوا يا أبي لا أطلب ردك.

ألقت المرأة نفسها حينذاك بين ذراعي "كيڤين" وقبلته.

– إنني موافقة. لكن إذا استمررت في تمثيل هذا المشهد الهزلي مع أبي فإنني سأطرحك بملابسك في البركة!

همس "كيڤين":

– أوه! لا، ليس الآن. لكنني آمل أن نعود عندما يرحل المدعوون...

سأل "چون" وهو يتوجه إلى العاشقين:

– ما رأيكما إذا أخبرنا المدعوين بزواجكما القادم؟

اعترضت "مارتينا":

– لا يا أبي! انظر إليهم، إنهم يستمتعون ويرقصون. اتركهم...

ولكننا سندعوهم عما قريب إلى حفلة أخرى جميلة.

قال "كيڤين":

– لك ما تريدين. لكن انظروا! إنني متأكد أننا سنقيم حفلتي زواج خلال عدة أسابيع.

أشار "كيڤين" إلى اثنين يرقصان في وسط الحلبة.

قال "چون" بصوت منخفض:

– إنه "هوبز" مع "سيبيل".

قالت "مارتينا":

– نعم، إنهما رائعان... لم يعودا يفترقان عن بعضهما!

*****

ألقت الساعات الأولى للفجر ضوءا ورديا على قمم الجبال التي تسيطر على "الوادي السعيد". ابتعد آخر المدعوين عن الدرب الذي ينزل نحو المنزل.

كان "چون ماننينجز" جالسا تحت شجرة يحلم وهو يرى النجوم تنسحب في هدوء.

أحس أن هذه الحفلة تمثل بالنسبة له بداية حياة جديدة. لقد التقى مع ابنته التي جمعها الحب بـ"كيڤين" الذي يقدّر. كثيراً. فكر أيضا في "چيف" و"تومي" اللذين أحبهما كجد متسامح مع حفيديه.

جذب ضحك "مارتينا" انتباه "چون" حينذاك وأدار رأسه في

www.elromancia.com

الاتجاه الذي يأتي منه الصوت.

مع بزوغ أول ضوء للنهار كانت "مارتينا" و"كيڤين" يتعانقان على شاطئ الماء.

كانت ضحكاتهما ممزوجة بهمسات الحب. بعد عدة لحظات تخلص "كيڤين" من ملابسه وألقى بها على الأرض، وسبح في الماء بينما كانت "مارتينا" تخبط بيديها مثل الطفلة. رفع بعض الخدم - الذين كانوا يشتغلون حول الموائد - أعينهم، وابتسموا لما رأوا "مارتينا" تلقي بنفسها هي الأخرى في الماء.

أغمض "چون مانينجز" عينيه وابتسم. ها قد تولد بداخله إحساس كان يبدو أنه نسيه منذ فترة طويلة: لقد كان سعيداً.

- أمازلت واقفا هناك؟

فتح "چون" عينيه: "كيڤين" و"مارتينا" يسبحان باتجاهه وهما يبتسمان:

قال الأب:

- نعم، نعم. ظننت أنني نائم... لكنني لم أنم في الحقيقة.

كشّر "چون" لحظة قبل أن يضيف:

- إذا أردتما أن تعرفا كل شيء فإنني كنت أفكر في الحفلة القادمة التي يجب أن تنظم هنا. حفلة زواج، يا لها من حفلة مدهشة!

صاحت "مارتينا":

- أبي! إنها ستكون حفلة مجنونة!

وكانت النظرة الحانية - التي تبادلتها مع "كيڤين" زوج المستقبل - تنم عن سعادتها.

تمّت بعون الله